جامـــــعة الجيلالي بونعامة
خميس مليانة
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة تاريخ

العلاقات المغربية – العثمانية في العهد العلوي (1679 – 1757 م)

مـــذكرة لنيـــل شهـــادة الماستر في التاريخ الحديث و المعاصر

إعداد الطالبتين :
- بشارفه صبرينة
- زيتوني أسماء

إشراف :
أ – عبد القادر فلوح

لجنة المناقشة

أ – ..... رئيسا
أ – عبد القادر فلوح ..... مشرفا و مقررا
أ – ..... عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 2016 / 2017 م

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي
الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا
فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

سورة المجادلة الآية (11)

شكر و تقدير

بسم الله الرحمان الرحيم

" رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا "

النمل الآية 19

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم و المعرفة و أعاننا على أداء هذا الواجب و أنعمنا القوة و التحدي لإتمام هذا العمل المتواضع نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على إنجاز هذه المذكرة وفي تذليل ما واجهناه من صعوبات و نخص بالذكر الأستاذ المشرف " فلوح عبد القادر " لما قدمه لنا من جهد و نصح و معرفة طيلة إنجازنا لهذه المذكرة .

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من زرع التفاؤل في دربنا و قدم لنا التسهيلات و المعلومات فلهم منا كل الشكر منهم الأستاذ الفاضل " بلعربيي نور الدين " الذي أسهم بشكل وفير بتشجيعنا ، و أستاذة الأدب العربي " بشارف نعيمة " التي كانت المصحح والممحص لزلاتنا وهفواتنا .

نشكر كل الذين كانوا عونا لنا في بحثنا و نورا يضيء الظلمة التي كانت تقف أحيانا في طريقنا (الصديقتين أسماء ، نعيمة ، الأخ نبيل) .

إلى العائلتين الكريمتين اللتين قامتا بدعمنا ماديا و معنويا .

و الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده .

إهداء

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على خاتم الأنبياء و المرسلين

أهدي ثمرة جهدي إلى كل من سهر و كدا من أجلي

إلى أمي الحبيبة التي أضاءت لي درب الحياة بنور الأخلاق و التربية الفاضلة ،

و أهدت لي زهرة شبابها ، فغذت أريجا يملأ قلبي و عقلي .

إلى أبي العزيز الذي علمني أن العلم تواضع و العبادة إيمان و النجاح إرادة

والحياة عمل .

حفظهما الله

إلى إخوتي و أخواتي و أبنائهم .

إلى أختي العزيزة و أمي الثانية سامية

إلى من علمتني معنى الصداقة و رافقتني في هذه المسيرة الشاقة رفيقة

دربي و سر سعادتي أسماء .

إلى صديقتاي و أختاي اللتان لم تلدهما أمي أسماء و نعيمة

إلى كل أفراد أسرتي

إلى كل من علمني حرفا

صبرينة

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي ، إلى معنى الحب والحنان والتفاني أمي الحبيبة

إلى من علمني معنى الاجتهاد والعمل والإتقان والتفاؤل والأمل والدي العزيز

إلى من رباني و كان بمثابة الأب الثاني محفوظ كريو

إلى من دعموني و ساندوني إخوتي و أخواتي

محمد ، خديجة ، نوال ، جميلة ، موسى ، عبدالله

إلى من وقفت بجانبي و حرصت على تشجيعي زوجة أخي

إلى الزهرتين العطرتين أبناء أخي صهيب و يوسف

إلى رفيقة دربي و توأم روحي إلى من أرى التفاؤل بعينيها و السعادة في ضحكتها صديقتي الغالية صبرينة .

إلى من تحلوا بالإخاء و تميزوا بالوفاء و العطاء صديقاتي أسماء ، نعيمة ، ياسمين ، نصيرة ، شهرزاد ، فريال

إلى من ترعرعت بينهم وتعلمت معنى التطوع منهم رئيس وأعضاء الجمعية الخيرية البسمة

إلى من بلغوا الرسالة و أدوا الأمانة ... لهم كل التقدير و الاحترام ... أساتذتي الكرام .

أسماء

باللغة العربية :

تح :	تحقيق
تر :	ترجمة
تق :	تقديم
تع :	تعليق
مج :	مجلد
ج :	جزء
ط :	طبعة
ص :	صفحة
و أ ش إ :	وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
م :	ميلادي

باللغة الأجنبية :

P :	page
Ibid :	ibidem
Op,cit :	opera citato

شكّلت العلاقات المغربية _ العثمانية مجال بحث للدراسات التاريخية نظراً لأهميتها في العلاقات بين المشرق والمغرب في ظل التواصل الحضاري بين المنطقتين ، زيادة على اعتبارات أخرى ، تتمثل في أنّ الدولة العثمانية كانت تعتقد أنها الزعيمة الرئيسية للعالم الإسلامي تحميه من الأخطار الأجنبية ، علاوة على ذلك فقد استطاعت أن تبسط نفوذها على العديد من المناطق مشرقا ومغربا ، إلاّ أنّ المغرب الأقصى اعتبر نفسه كياناً منفرداً ومستقلاً عن السلطة العثمانية ، ودراسة هذه العلاقة يدخل في إطار العلاقة بين المركز (الباب العالي) وبعض مناطق النفوذ العثماني في المغرب الإسلامي ، إذ تَميز المغرب بخصوصية هامة وهي أنه رفض الخضوع للسيادة العثمانية بل تصرف كسلطة مستقلة من خلال العلاقات الدبلوماسية العامة ، فعلاقة المغرب بالدولة العثمانية تكتسي أهمية خاصة كون أن المغرب الأقصى ظل البلد الوحيد من بلدان العالم العربي الذي أفلت من التبعية للدولة العثمانية ، إذ أنه كان يمثل مسرحاً للصراع بين المسيحية المتمثلة في الدول الأوروبية من جهة ، والإسلام من طرف الدولة العثمانية ورغبتها في ضمه إليها .

- **دوافع اختيار الموضوع :**

إنّ موضوع العلاقات المغربية _ العثمانية موضوع مهم يدخل ضمن إطار العلاقات بين المغرب الإسلامي والمشرق خاصة في حوض البحر الأبيض المتوسط والتي تحكمت فيه أطراف أجنبية منها الأوروبية ، فقد ارتبطت هذه العلاقات بظروف حتّمت عليها أن تتأرجح تارة بين التوتر وتارة بين السلم ، من هذا المنطلق ارتأينا دراسة هذا الموضوع الموسوم ب : العلاقات المغربية _ العثمانية في العهد العلوي (1679 ـ 1757 م)، وإلى جانب هذا هناك دوافع أخرى جعلتنا نختار هذا الموضوع نذكر منها :

ـ إنّ موضوع العلاقات دائما يكون محل بحث ودراسة لدى العديد من الباحثين نظراً لأهميته وتأثيره الحضاري على الأمم والمجتمعات وبالتالي فهو جدير بالبحث والتعمق في طياته .

ـ رغبتنا الملحة في تسليط الضوء على بعض الجوانب منها العلاقات الدبلوماسية بين البلدين والتي كانت أساس رسم العلاقات بينهما .

ـ اختلاف العلاقات المغربية _ العثمانية عن علاقة البلدين مع القوى الأوروبية باعتبارهما كيانان ينتميان إلى دار الإسلام واستقلالية المغرب عن السيادة العثمانية وادعائه بأحقيته في الخلافة الإسلامية ، دفعنا للبحث في طبيعة هذه العلاقة واستخلاص نتائجها وأثارها.

ـ إنّ دراسة العلاقات بين المغرب الأقصى والدولة العثمانية هو أيضا دراسة لتاريخ الدبلوماسية الجزائرية مع المغرب الأقصى نظراً لارتباط الجزائر كإيالة عثمانية في المنطقة.

– الإطار الزماني والمكاني للدراسة :

أمّا الفترة الزمنية المختارة في موضوعنا فتبدأ من النصف الثاني من القرن السابع عشر إلى النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، حيث تعكس سنة 1679 م بداية حكم السلطان اسماعيل مع بداية العصر العلوي الأول وتوطيده للسلطة المركزية في المغرب الأقصى وأول صدام له مع الجزائر التي كانت ضمن التبعية للسيادة العثمانية وبالتالي بداية التوتر في العلاقات المغربية _ العثمانية ، أمّا عن سنة 1757 م فتمثل نهاية عهد السلطان المغربي عبد الله وتحول العلاقات إلى التعاون ، أمّا فيما يخص الفترة الزمنية بالنسبة للدولة العثمانية فتمثل تراجع مكانة الدولة العثمانية في المغرب الإسلامي وبداية استقلال الجزائر عن الدولة العثمانية وتأثير ذلك في العلاقات المغربية _ العثمانية .

– إشكالية الدراسة :

اتّسمت العلاقات المغربية _ العثمانية في بداية العهد العلوي من سنة 1679 م إلى غاية سنة 1757 م بطابعين أساسيين الأول طابع التوتر والصراع ، والطابع الثاني طابع السلم والمهادنة ، الأمر الذي يدعونا إلى البحث في إشكاليتها وطرح التساؤلات التي تكوّن جوهر الإشكالية المراد دراستها في هذه المذكرة والتي تتمثل في:

ـ بما تميزت العلاقات المغربية _ العثمانية ؟ وكيف أثرت أوضاع الدولتين على مسار العلاقات الثنائية ؟

ـ ماهي العوامل التي أثّرت في مجرى هذه العلاقات ؟

ـ كيف تطورت هذه العلاقات ؟

ـ ماهي المظاهر الدبلوماسية لهذه العلاقات ؟

– الخطة المعتمدة في الدراسة :

وللإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدنا على خطة بحث تضمنت فصلاً تمهيديا وثلاثة فصول إلى جانب مقدمة وخاتمة .

ففي الفصل التمهيدي المعنون على النحو التالي : علاقة المغرب الأقصى بالدولة العثمانية قبل 1679 م ، تطرقنا فيه إلى الأوضاع السياسية و الاقتصادية والثقافية لكلا البلدين مع بداية نشوء الدولة العلوية وتراجع مكانة الدولة العثمانية.

وأيضا تناول العلاقات السياسية والدبلوماسية بين البلدين ودور الجزائر في هذه العلاقات بصفتها طرف ساهمت في بلورتها .

أمّا الفصل الأول والذي كان تحت عنوان : أوضاع المغرب الأقصى والدولة العثمانية في فترة ما بين (1679 _ 1757 م) فقد خصصناها لأوضاع المغرب الأقصى في عهد السلطانيين اسماعيل وعبد الله وعلاقاته مع الدول الأوروبية وأوضاع الدولة العثمانية الداخلية التي تميزت بالفوضى وعدم الاستقرار بالإضافة إلى المشاكل الخارجية بحروبها في أوروبا .

ثمّ انتقلنا إلى الفصل الثاني ودخلنا في صلب الموضوع وهو العلاقات السياسية بين المغرب الأقصى والدولة العثمانية ما بين (1679 _ 1757 م) ، والذي تحدثنا فيه عن الهجومات والاعتداءات المغربية على الجزائر وتوتر العلاقات المغربية _ العثمانية وردود أفعال الجزائر والباب العالي إزاء تلك الاعتداءات .

وأخيرا الفصل الثالث الذي تطرقنا فيه إلى العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين (1679 _ 1757 م) ، من تبادل الرسائل والسفارات في عهد السلطان اسماعيل إلى مرحلة السلم والهدوء التام مع الباب العالي في فترة حكم السلطان عبد الله .

وختمنا المذكرة بخاتمة تضمنت أبرز النتائج التي خلصنا إليها من خلال عرضنا لهذه المادة التاريخية وأتبعنا الخاتمة بملاحق تنوعت بين الرسائل والخرائط والصور لدعم بحثنا ثمّ قائمة مفصلة للمصادر والمراجع المعتمدة وقائمة الفهرس.

- المنهج المتبع في الدراسة :

اتبعنا في هذه الدراسة على المنهجيين التاليين :

ـ المنهج التاريخي الوصفي لرصد المعلومات التاريخية وترتيبها وتصنيفها حسب الأحداث التاريخية والأوضاع التي سبقت فترة الدراسة .

ـ المنهج التحليلي لإبراز تلك الوقائع في مسار العلاقات بين المغرب الأقصى والدولة العثمانية ، وما ارتبط بها من تداعيات ، لتمكننا من الإجابة على الإشكالية التي طرحناها إذ حاولنا تحليل الأحداث التاريخية وخاصة فيما تعلق الأمر بالعلاقات الدبلوماسية التي كانت بمثابة رسائل وسفارات ودورها في تحويل الصراع والتوتر إلى السلم ، فكان لابد من التعمق فيها وتحليلها للوصول إلى نتائج معينة .

- نقد المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة :

اعتمدنا في دراستنا على مجموعة من المصادر التي عاصرت الدولة العلوية فمنها من أيدتها في أعمالها ، وهناك من نقدتها ، كما استفدنا من بعض المراجع والدوريات التي تناولت موضوع دراستنا فأفادتنا كثيراً نذكر منها :

- المصادر :

ـ كتاب روضة التعريف في مفاخر مولانا اسماعيل بن محمد الشريف لمحمد الصغير اليفرني أفادنا كثيراً في التعريف بشخصية السلطان اسماعيل وأعماله وبعض الرسائل التي

اعتمدها المحقق عبد الوهاب بمنصور مع اعتماده على الكثير من الصور الخاصة لسلاطين الدولة العلوية .

ـ كتاب البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف (القسم الأول من النشأة إلى نهاية عهد سيدي محمد بن عبد الله) لأبو القاسم الزياني ساعدنا في تتبع الأحداث والوقائع من بداية العهد العلوي إلى نهاية حكم السلطان عبد الله ، إضافة إلى هذا استفدنا منه في علاقة السلطان اسماعيل مع الدولة العثمانية .

ـ كتاب تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة) لحمد الضعيف الرباطي يتضمن الكتاب مجمل أعمال السلاطين العلويون الداخلية والخارجية وقد أفادنا في دراسة أوضاع المغرب وفي علاقته مع الجزائر والباب العالي .

ـ كتاب نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني لأبي محمد عبد السلام بن الطيب القادري يسير الكتاب على نظام السنوات من القرن 17 م زيادة عن التراجم حيث زودنا ببعض المعلومات عن تاريخ المغرب الأقصى وقد اعتمدنا على الجزء 2 ،3 ، 4.

ـ كتاب تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب لأبي القاسم الزياني استفدنا منه في توثيق شجرة السلاطين العلويين والتعريف بهم .

ـ كتاب التحفة الحليمية في أخبار الدولة العلية لإبراهيم بك حليم إذ زودنا بمعلومات تخص شخصيات أعمال سلاطين الدولة العثمانية .

– المراجع :

– كتاب التاريخ الدبلوماسي للمغرب لعبد الهادي التازي في مجلده التاسع الذي خصصه للسياسة الخارجية للدولة العلوية وقد أفادنا في العلاقات الدبلوماسية للمغرب الأقصى مع الباب العالي ، إذ أنّ وجهة نظره في هذه العلاقات وجهة مغربية بحتة .

– كتاب المغرب عبر التاريخ لحركات إبراهيم في جزئه الثالث الذي أعطانا صورة مفصلة عن أوضاع المغرب خاصة في عهد السلطان عبد الله .

ـ كتاب الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية لسامح ألتر عزيز ترجمه إلى العربية محمود علي عامر والذي أثرانا بمعطيات وأحداث عن علاقة المغرب بالجزائر في عهد السلطان المغربي اسماعيل من وجهة نظر محايدة إلى حد ما .

- الصعوبات المعترضة :

من الصعوبات التي واجهتنا في دراستنا هذه والتي لا تكاد تخلو منها أي دراسة هي :

ـ جمع المادة من مصادرها المتفرقة والكثيرة ، فكنا نلجأ مباشرة إلى جمع المادة المتعلقة بالعصر العلوي الأول وعلاقته بالدولة العثمانية .

ـ قلّة الدراسات عن بعض الجوانب من الدراسة كعلاقات المغرب الأقصى بالدولة العثمانية في فترة حكم السلطان عبد الله .

ـ تعرضنا لمشكل مؤثر في عملية التحليل والاستنتاج للوقائع التاريخية في هذه العلاقة منها أن العلاقة بين المغرب الأقصى والدولة العثمانية مظاهرها كانت قليلة ورغم قلتها إلاّ أنها مرتبطة ارتباطا عضويا بالجزائر وعلاقاتها مع المغرب ، ممّا صعب علينا فصلها وتوضيحها توضيحا شاملا .

وفي ختام ذلك لا يسعنا إلاّ أن نسجل بالغ شكرنا للأستاذ المشرف عبد القادر فلوح وعظيم امتناننا لتشجيعه لنا و اهتمامه .

وأخيرًا إن أصبنا في هذه الدراسة فبتوفيق من الله عزّ و جلّ وإن كان غير ذلك فحسبنا أننّا اجتهدنا و حاولنا .

تمهيد :

عرف المغرب الأقصى عقب وفاة أقوى سلاطينه أحمد المنصور السعدي أوضاعاً سياسية متدهورة بسبب النزاعات التي نشبت بين أبنائه ، ممّا أدى إلى عودة التدخل الإسباني في الشؤون المغربية ، وهذا ما دفع بالأسرة العلوية إلى استغلال الوضع ونشر دعوتها لاستلام زمام الحكم لخلافة السعديين . وفي ظل الخلاف بين المؤسسين للدولة العلوية السلطان محمد بن الشريف والرشيد ظهر الصراع المبكر مع العثمانيين على الحدود الشرقية بين المغرب الأقصى والجزائر .

وكانت الدولة العثمانية تشهد آنذاك أوضاع سياسية مضطربة بسبب الفتن وتكالب الدول الأوربية عليها مشكلة عائقا لتوسعها ، فإلى أي حد أثرت أوضاع تلك الدولتين على علاقتهما ؟ .

المبحث الأول : أوضاع البلدين

المطلب الأول : المغرب الأقصى

أ – الأوضاع السياسية :

– ظروف تأسيس الدولة العلوية :

لقد عمّت الفوضى والاضطرابات في المغرب الأقصى عقب وفاة أحمد المنصور السعدي [1] ، بسبب النزاعات بين أولاده والأخطار الأجنبية المحدقة به ، فأصبح المغرب الأقصى عبارة عن فسيفساء من سلطات قبلية تتقاسم الأقاليم وتتطلع إلى الوصول إلى السلطة لحكم المغرب الأقصى ، هنا ظهرت الأسرة العلوية [2] بنسبها الشريف ودعوتها الرامية إلى نزع الخلافة من السعديين ، فالتف أهل سجلماسة (تافيلالت) [3] حول الشريف علي مؤسس الدولة العلوية وبدأ في محاربة الدلائيين [4] ، لكن فشل في ذلك ، فرغم انتصاراتهم عليه إلا أنهم عمدوا إلى المهادنة ، ويعود سبب ذلك إلى مواجهتهم للمشاكل في الشمال[5] .

---

[1] – ولد بفاس عام 1549 م ، هو أحمد بن محمد الشيخ سابع سلاطين الأسرة السعدية في المغرب الأقصى ، دام عهده ستة و عشرين سنة ، أزهى عهود الدولة السعدية ، توفي سنة 1603 م **للمزيد أنظر** : عبد الوهاب منصور ، **أعلام المغرب العربي** ، ج5 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، المغرب ، 1990 م ، ص 228 ، 229 .

[2] – تسمى سلسلة الذهب تنحدر إلى محمد النفس الزكية ثم إلى علي بن أبي طالب و فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه و سلم ، موطنهم الأصلي من ينبوع النخل بالحجاز و استقروا بالمغرب **للمزيد أنظر** : المراكشي الوجاد ، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي** ،(تصحيح : هوداس)، المغرب ، 1888 م ، ص 287 ، 288 ؛ أبو القاسم الزياني ، تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب ، (تق و تح : رشيد الزاوية)، ط1 ، مطبعة الأمنية ، الرباط ،المغرب 2008 م ، ص 77 و ما بعدها ، **أنظر أيضا** : الملحق رقم 01.

[3] – سجلماسة أو تافيلالت الآن هي إقليم من المغرب الأقصى في الجنوب الشرقي من جبال الأطلس خصب الأراضي **للمزيد أنظر** : حسن الوزان ، **وصف إفريقيا** ، ج1، (تر : محمد حجي ، محمد الأخضر) ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 1983 م ، ص 120 ، 121 .

[4] – الدلائيون هم بربر مجاط بطن من صنهاجة ينتسبون إلى جدهم أبوبكر بن محمد ، تأسست الزاوية الدلائية سنة 1566 م ، تبنت الطريقة الشاذلية و اتخذت تادلا عاصمة لها ، حققت انتصارات عديدة علي السعديين و الإسبانيين في المهدية ، لكنها هزمت أمام العلويون في معركة بطن الرمان سنة 1668 م، **للمزيد أنظر** : المراكشي الوجاد ، مصدر سابق ، ص 274 .

[5] – محمود علي عامر و محمد خير فارس ، **تاريخ المغرب العربي الحديث " المغرب الأقصى ، ليبية** " ، منشورات دار دمشق ، دمشق 1999م ، ص 79 .

و بعد مجيء محمد بن الشريف [1] إلى الحكم و مبايعته بسجلماسة هبّ بحركته لاستكمال أعمال أبيه و إعادة الهيبة للأشراف العلويين من جديد ، فعمل على إخضاع القبائل القريبة ومن ثم القبائل الشرقية [2] واستطاع العلويون القضاء على طموحات الدلائيين السياسية وإرجاعها إلى حيز الزاوية فدخل بذلك المغرب الأقصى في تجربته الشريفة الثانية [3].

- اكتمال التأسيس العلوي :

توفي السلطان محمد بن الشريف 1664 م فتولى الملك أخوه السلطان الرشيد [4] فعمل على توطيد دعائم الدولة الجديدة واستكمال التأسيس العلوي ، إذ بدأ بالقضاء على التمردات في سجلماسة مثل تمرد ابن أخيه محمد الصغير [5] ثمّ اتجه إلى فاس وحاصرها سنة 1666 م فأجبر أهلها على مبايعته ، ولمّا فتح فاس خرج لفتح بقية المغرب واتجه إلى تطوان وألقى القبض على رئيسها أبي العباس النقسيس وصادر أملاكه [6] وقد ساعده ذلك على تدعيم نفوذه وتعزيز صفوفه ومواصلة الطريق لإسكات القوى المعارضة الأخرى المنتشرة في ربوع المغرب الأقصى .

---

[1] – هو محمد بن الشريف بن علي و هو أول سلطان للدولة العلوية في المغرب ، بويع بسجلماسة سنة 1649 م خاض عدة معارك مع الدلائيين (محمد الحاج الدلائي) مثل وقعة الكارة الشهيرة أسفرت عن هزيمته **للمزيد أنظر** : عبد الرحمان ابن زيدان ، **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس** ، ج3 ، (تح : علي عمر) ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2008 م ، ص 149 و ما بعدها .

[2] – عزيز سامح ألتر ، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية** ،(تر : محمود علي عامر)، ط1 ، دار النهضة العربية بيروت ، 1989 م ، ص 381 .

[3] – دلندة الأرقش و أخرون ، **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر** ، مركز النشر الجامعي ، المغرب ، 2003 م ص 27 .

[4] – ولد بسجلماسة 1631 م ، تولى الحكم سنة 1664 م حتى 1672 م ، ثاني سلاطين الدولة العلوية **للمزيد أنظر** : ابن زيدان ، إتحاف أعلام الناس ، مصدر سابق ،ج3، ص 44 .

[5] – عبد العزيز بنعبد الله ، **تاريخ المغرب العصر الحديث و الفترة المعاصرة** ، ج2 ، مكتبة السلام ، المغرب ،ص 05.

[6] – محمد داود ، **تاريخ تطوان** ، ج1 ، (تق : محمد بنونة) ، تطوان ، المغرب ، 1959 م ، ص 238 .

خاصة أنّه اتجه صوبَ الزاوية الدلائية للقضاء عليها نهائيا و جرت المعركة الحاسمة بينهما سميت بمعركة بطن الرمان سنة 1668 م ، فلم يصمد الدلائيون أمام قوات السلطان الرشيد فانهزموا و اضطروا إلى مبايعته و رحلوا إلى فاس[1] وبذلك استطاع السلطان أن يضم تازا وسجلماسة إلى مملكته ، ثمّ اتجه لفتح مراكش بعد قضائه على الزاوية الدلائية سنة 1669 م فاستولى عليها ، وفي سنة 1671 م استولى على بلاد السوس وعلى تارودانت و أوقع بأهل إيليغ دار ملك أبي حسون السملالي[2] و بالتالي تمكن من إزاحة السملاليين من طريقه فاستتب الأمن في ولايته ، وشرع في تأليف جيش " شراقة " [3] ليكون بمثابة هيئة دفاعية لمملكته المغربية.

ولمّا توفي السلطان الرشيد بايع أهل مكناسة أخاه اسماعيل [4] فاستلم السلطة ساعيا إلى توطيد السلطة المركزية ، إذ أنّ أول مشكل اعترضه هو ضعف السلطة المركزية التي كانت مهددة بتحركات السلطات الإقليمية سواء في المدن أو البوادي .

---

[1] – Abu Al – kasim b .(ahmed zayani) , **le Maroc de 1631 à 1812**, 2 extr de(l ouvrage intitulé public et traduit : paro Houdas) , imprimerie nationale Paris , 1889 , p 17 **للمزيد أنظر :** محمد حجي ، **الزاوية الدلائية و دورها الديني و العلمي و السياسي** ، ط2 ، مطبعة الجديدة الرباط ، المغرب ، 1988 م ص 248 و ما بعدها .

[2] – يكنى أيضا بأبي دمعيعة و صاحب الساحل من أحفاد الشيخ أحمد بن موسى السملالي صاحب الزاوية الشهيرة في تازورالت سوس ، استحوذ على سوس سنة 1614 م و اتخد من إيليغ عاصمة و امتد نفوده حتى درعة و سجلماسة سنة 1631 م **للمزيد أنظر** : نفسه ، ص 148 وما بعدها .

[3] – لفظ أطلق على بادية في تلمسان لأنها من جهة الشرق للمغرب **للمزيد أنظر** : أبو العباس بن خالد الناصري **الاستقصا لدول المغرب الأقصى** ،ج7، (تح و تع : جعفر الناصري ، محمد الناصري) ، دار الكتاب ، الدار البيضاء 1997 م ، ص 41 .

[4] – هو ابن علي الحسني ، ولد سنة 1646 م ، بويع سنة 1672 م و حكم المغرب إلى غاية وفاته سنة 1727 م اتسمت فترة حكمه بالازدهار في جميع الميادين ، استطاع تحرير الأراضي المغربية المحتلة **للمزيد أنظر** : العباس بن ابراهيم السملالي ، **الإعلام بمن حل بمراكش و أغمات من الأعلام** ، ج3 ، (راجعه : عبد الوهاب ابن منصور) ، ط2 المطبعة الملكية ، المغرب ، 1993 م ، ص 64 ؛ محمد الصغير اليفرني ، **روضة التعريف بمفاخر مولانا اسماعيل الشريف** ،(تح : عبد الوهاب بمنصور) ، ط2 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، المغرب ، 1995 م ، ص 18 ، و في مبايعته من ص 60 و ما بعدها .

وقد قضى السلطان اسماعيل حوالي الخمس وعشرين سنة الأولى من عهده في قمع الثورات وتقوية الجهاز المخزني عن طريق تأسيس جيش من نوع جديد و هو عبيد البخاري[1] ففرض التجنيد الإجباري وجعله على الجيش النظامي المخزني فقط و انتهى عدده إلى 150000 جندي [2] ثمّ اتجه لإخماد الثورات و أولها كانت في فاس إذ تمكن من ذلك وجاء فقهاؤها يطلبون العفو منه ، و في الجنوب ثار أحمد بن محرز [3] الذي كان يطمح إلى الاستيلاء على السلطة فاتخذ من تارودانت عاصمة له [4] و بالموازاة مع ذلك كان يهدد السلطان خطر أخر يتمثل في الأسر التي كانت تتمتع بحكم مستقل مثل الخضر غيلان و أولاد النقسيس في تطوان ، إذ كانت تشكل بؤرتهما المنظمتان خطرا يهدد دعائم السلطة المخزنية الجديدة لذلك توجه السلطان صوبهما و تخلى عن عدوه الأول أحمد بن محرز [5].

وخلال سنة 1674 م تمكن من القضاء على حركة غيلان التي كان يخشى من تفاقمها كونها مدعمة من السلطة العثمانية في الجزائر ، فقضى على تمرده و قتله .

---

[1] – عبد الكريم بن موسى الريفي ، **زهر الأكم** ، (دراسة و تح : آسية بنعدادة) ، مطبعة المعارف ، الرباط ، المغرب 1992 م ، ص 23 .

[2] – عبد الحق المريني ، **الجيش المغربي عبر التاريخ** ، ط 5 ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، المغرب ، 1997 م ص97.

[3] – ينتمي إلى الأسرة العلوية الملكية ، كان وزيرا و عاملا و قائدا لدى عمه السلطان الرشيد ، و لما توفي و بويع أخوه السلطان اسماعيل ثار عليه و أراد أخذ الملك منه **للمزيد أنظر** :عبد الوهاب بن منصور ، مرجع سابق ، ج6 ، ص 93.

[4] – شوقي الجمل ، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب)** ، ط1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1977 م ، ص 214 .

[5] – الحاج ساسيوي الفيلالي ، " ثورات المدن في المغرب الأقصى الحديث (مدينة فاس في عهد السلطان المولى اسماعيل (1672 – 1727) " ، **مجلة كان التاريخية** ، العدد 17 ، دار ناشري ، الكويت ، 2012 م ، ص64 .

ثمّ توجه سنة 1679 م إلى السوس و الصحراء و استطاع إخضاع القبائل هناك فأعلنوا له الطاعة و الولاء [1].

ب – الأوضاع الاقتصادية :

تجاوزت نشاطات السلطان الرشيد المجال العسكري إلى مجالات أخرى كالاقتصادي والثقافي ، فساد الرخاء وعرفت بذلك الحياة الاقتصادية انتعاشا في عهده بعدما اكتمل تأسيس دولته وعم الأمن والسلم ، فسيطر على محور التجارة في الشمال وصارت منتجات السودان تصل إلى شواطئ الريف بالمغرب الأقصى ويتم التبادل بالأسلحة و الذخائر[2].

وفي سنة 1670 م قام ببناء قنطرة نهر سبو ذات الأقواس الأربعة بفاس [3] كما قام بضرب نقود مستديرة مصنوعة من النحاس (أشقوبية) ، وكان نقش إحدى جهاتها (الله ربنا ، محمد رسولنا ، الرشيد أمامنا) ونقش الأخرى (لا حول و لا قوة إلا بالله) [4]، وفي السنة الموالية بنى مدرسة الشراطين التي انتهى إنجازها في عهد السلطان اسماعيل وقد كانت محكمة البناء جميلة الشكل ، أنيقة الوضع ، وجعل فيها طبقات بعضها فوق بعض تشتمل تلك الطبقات على مائتي بيت وقبة للصلاة نقشت بخط مشرقي بلغ الغاية في النفاسة والإبداع و أمر جيشه " الشراقة " ببناء قصبة الخميس و أنفق ألف دينار من أجل بناء سورها [5] .

وفي عهد السلطان اسماعيل " **اهتم ببناء القصبات التي تحتوي على أراضي زراعية ومخازن و مسجد و مساكن و حراسة و تحاط بالأسوار و الأبراج للمراقبة و اهتم ببناء القلاع كقلعة مكناسة وقصورها و مساجدها و بساتينها و هذا شيء فوق المعهود ، بحيث عجزت عنه الدول القديمة**

---

[1] – أبو القاسم الزياني ، **البستان الطريف في دولة أولاد مولاي الشريف (القسم الأول من النشأة إلى نهاية عهد سيدي محمد بن عبد الله)** ، (دراسة و تح : رشيد الزاوية) ، ط1 ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، المغرب 1992 م ، ص 159 .

[2] – محمود علي عامر ، مرجع سابق ، ص 81 .

[3] – الناصري ، مصدر سابق ، ص 39 .

[4] – عبد الرحمن بن زيدان ، **الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة** ، المطبعة الاقتصادية ، الرباط ، المغرب 1937 م ، ص 13 .

[5] – السملالي ، مصدر سابق ، ج3، ص 246 .

والحديثة من الفرس و اليونان و الروم و غيرهم من الأمم فلا يلحق ضخامة مصانعه ما شيده الأكاسرة " [1].

وقد ساعدت تلك الأبنية على الاستقرار والأمن في ربوع المغرب الأقصى [2] ، فاستقامت الأمور وسكنت الرعية وهدأت البلاد واشتغل السلطان بنشر السلم و الأمن والرخاء في كل أرجاء مملكته المغربية [3].

وبذلك انعكست سياسة السلطان إيجابا على الحياة المعيشية للسكان من مراقبة للأسعار وضمان للمنتوجات ، إذ كان يراقب بنفسه صناعة الخبز وتجارة الفواكه أمّا في وقت الأزمات الاقتصادية والمجاعات يتخذ إجراءات لازمة وسريعة لمنع الاحتكار والاستغلال لاستمرار ضمان تدفق السلع وخاصة الأساسية منها كالقمح [4] وقد لعبت مراكش دورا هاما في الحركة التجارية وكذلك تارودانت و كانت مكناس أنشط في التجارة والشمع والنحاس وقد فضلها السلطان اسماعيل على غيرها من المدن [5].

- العلاقات التجارية الخارجية :

لقد سعت كل من فرنسا وإنجلترا إلى الاتصال بالسلطان الرشيد لكي تعقد معه معاهدات تجارية ، ويظهر ذلك في السفارات و الوفود التي قدمت إليه مثل التاجران الفرنسيان زولان فرجس و ميشيل في 07 سبتمبر 1666 م من أجل إقامة مؤسسة تجارية في الحسيمة على ساحل الريف بالمغرب الأقصى [6].

---

[1] – ليفي بروفنسال ، **نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى** ، مطبوعات لاروز، باريس ، 1948 م ، ص 115.

[2] – محمود السيد ، **تاريخ دول المغرب العربي (ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب ، موريتانيا)**، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ، مصر ، 2006 م ، ص 247 .

[3] – ليفي بروفنسال ، مرجع سابق ، ص 113 .

[4] – إدريس أبو إدريس ، " المولى اسماعيل و دور شخصيته في تدعيم الدولة المركزية (1082 - 1139 هـ - 1672 - 1727 م) "، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية** ، العدد 03 ، مكناسة ، المغرب ، 1990 م ، ص 11 .

[5] – محمود السيد ، مرجع سابق ، ص 246 .

[6] – عبد الرحمان ابن زيدان ، **العلاقات السياسية للدولة العلوية** ، (تق و تح : عبد اللطيف الشاذلي) ، المطبعة الملكية ، الرباط ، المغرب ، 1999 م ، ص 45 .

كما وفد إلى السلطان سفير أخر فرنسي يطلب الإذن لإقامة شركة فرنسية بفاس بقصد التجارة في الجلود والشمع و النحاس والصوف ، فلم يجبه على ذلك وبعد انتهاء الاستقبال وجه السلطان الرشيد للسفير جوابه بالرفض[1].

أما إنجلترا فقد بعثت بسفارة ترأسها هنري هيوارد تحمل رسالة من الملك شارل الثاني تدعو إلى عقد معاهدة تجارة حاملة هدايا ثمينة تضمنت بعض الأسرى المغاربة و عشرة مدافع لكن المعاهدة فشلت وعاد السفير من حيث أتى [2].

لعبت المدن المغربية دورا هاما في التجارة المغربية حيث كانت سجلماسة تستورد الكثير مما يحتاجه السكان بمقايضتهم بتبر الذهب والعاج وريش النعام والبلح حيث حركة القوافل النشطة عبر تلك المدينة إلى السودان [3].

ج – الأوضاع الثقافية :

تمكنت حركة النهضة الفكرية التي انبعثت مع قيام السعديين من أن تستمر في عهد الدولة العلوية ، وذلك بفضل الجهود التي بذلها كل من السلطان الرشيد وأخيه السلطان اسماعيل [4].

و يتّضح ذلك من خلال ما أنجزه السلطان الرشيد من بنائه لمدرسة الصفارين بفاس على طراز بديع ليسكنها الطلبة و يتعلموا فيها و انتهى بناؤها في عهد السلطان اسماعيل سنة 1678 م ، ومدرسة الشراطين كما أسلفنا الذكر لاستقطاب الطلبة ونشر العلم والمعرفة بين أوساطهم ، فكانت بمثابة إنجاز على الصعيدين الاقتصادي و الثقافي [5].

---

[1] – ابن زيدان ، إتحاف أعلام الناس ، مصدر سابق ، ج3 ، ص 77 .

[2] – محمود علي عامر ، مرجع سابق ، ص 82 .

[3] – محمود السيد ، مرجع سابق ، ص 247 .

[4] – محمد الأخضر ، " الأدب المغربي على عهد الدولة العلوية العصر الأول " ، **مجلة المناهل** ، العدد 01 ، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، المغرب ، 1974 م ، ص 217 .

[5] – السملالي ، مصدر سابق ،ج3، ص 246 .

كما عني بتحبيس الكتب على الخزائن العمومية و اقتناء عدد منها و استنساخها لخزائنهم الخاصة ، إذ حبس السلطان الرشيد خزانة الجامع الأعظم بفاس الجديد منذ 1668 م [1] كما هو منقوش بأحرف بارزة بأعلى الرفوف التي توضع بها الكتب ، وأوقف عليها جميع المؤلفات القيمة التي كانت في تنظيم نزهة الطلبة السنوية التي مازالت تقام حتى اليوم بفاس أثناء فصل الربيع لتنشيط الطلبة و شحن هممهم بخلق جو التنافس بينهم [2].

وممّا زاد من نشاط الحركة الثقافية في المغرب وفي فاس بالتحديد هو نقل تراث العلماء والأدباء من زاوية الدلاء إلى جامعة القرويين ، فنشأت منافسة حادة بين علماء المدينة الإدريسية و علماء البادية الوافدين ، كانت خيرا على تقدم العلوم وازدهار الآداب بالإضافة إلى الظروف المادية الحسنة التي عرفها المغرب ممّا سهل بداية النهضة الفكرية فانعكس إيجابا على الأحوال الاقتصادية و نتج عن ذلك رخاء عظيم وانخفاض كبير في سعر القمح وغيره [3].

أمّا فيما يخص المجالس العلمية السلطانية فقد شهدت تطورا ملحوظا إذ يعتبر السلطان الرشيد المؤسس الحقيقي لها في شكلها التقليدي الرسمي في عهد الدولة العلوية و أنه أول من سن سنتها لملوكها الذين جاؤوا من بعده ، فكان ينتقي لها كبار العلماء المجتهدين من جميع أنحاء مملكته ، فكانوا يتدارسون الأحاديث النبوية الشريفة و يتباحثون ويتناظرون حول أحكامها و آدابها و أهدافها [4].

وكان هَمُ السلطان معالجة الأوضاع الفاسدة محاربة المتمردين والثوار تحت مختلف الشعارات المزيفة ونشر الأمن والاستقرار في البلاد وتوحيدها تحت سلطة دينية روحية ودنيوية موحدة في ظلال الدوحة النبوية الوارفة وأل البيت النبوي الطاهر وفي هذا الإطار كانت مواجهة السلطان للزاوية الدلائية وغيرها من الثوار ونَقَل علمائها إلى فاس العاصمة

---

[1] – ابراهيم حركات ، **ملحق المغرب عبر التاريخ ،(التيارات السياسية و الفكرية بالمغرب)** ، ج3 ، ط2 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1994 م ، ص 41 .

[2] – محمد الأخضر ، **الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية (1075 1311 هـ ، 1664 – 1894 م)** ط1 ، دار الرشاد الحديث ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1977 م ، ص 70.

[3] – نفسه ، ص 70 .

[4] – آسية الهاشمي البلغيثي، **المجالس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريفة** ، ج1 ، و أ ش إ ، المغرب 1996م ص 221 .

العلمية واختيار صفوفهم من الأئمة والشيوخ لمجالسته ومناظرته في مجالسه العلمية الخاصة والعامة كأبي عبد الله المرابط ، وكان ذلك دَأبه مع كافة أهل العلم بسائر أرجاء مملكته [1].

– دور السلطان اسماعيل في ازدهار الحياة الثقافية :

كان السلطان اسماعيل ذو شخصية فذة متميزة فقد جمع بين العلم والأخلاق والشجاعة المادية والأدبية ، فقد كان شغوفا بالعلم يعمل على نشره وينفق في ذلك بسخاء حتى بعث حركة علمية ازدهرت في ظلها جميع فروع المعرفة مستهدفا خلق مناخ ثقافي يواكب مجالسه العلمية ويتجاوب معها في توافق وانسجام ، وبلغ من ازدهار الحركة الفكرية في عهده وأصداء مجالسه العلمية ففي سبيل تكوين العلماء الأكفاء وتأطيرهم كلف لجنة تربوية تتفقد وتتبع أحوال التلاميذ ودراستهم في الكتاتيب القرآنية والإنفاق عليهم كما اهتم بالطلبة الكبار في المعاهد العليا ، فكان يجري لهم اختبارات و يختار المتفوقين منهم للمناصب الشرعية و الدينية و غيرها و بالتالي أعضاء في مجالسه العلمية مكافأة لهم وتشجيعا لغيرهم [2].

وقد قام بتأسيس الخزانة الإسماعيلية بمكناسة التي تحوي مصنفات فاقت مصنفات أشهر الخزانات في العالم الإسلامي وكان المشرف عليها أبرز علماء عصر السلطان اسماعيل العلامة المؤلف أبو العباس أحمد بن الحسن اليحمدي ، وقد ضمت الخزانة الإسماعيلية النفائس والنوادر من الدواوين و الكتب [3].

كما اشتهر بجلب النساخين والوراقين المهرة من مدينة فاس إلى مدينة مكناسة لنسخ الكتب العلمية وكتابتها بمختلف الخطوط المغربية مثل الخط المبسوط و الجوهرة [4].

---

[1] – آسية الهاشمي البلغيثي ، ، مرجع سابق ، ص 223 .

[2] – نفسه ، ص 236 .

[3] – أحمد إيشرخان ، " جهود السلطان مولاي اسماعيل في تأسيس الخزانات العلمية و ازدهار الحياة الفكرية بالمغرب الحديث (1082 – 1139 هـ ، 1672 – 1727 م) "، **مجلة دعوة الحق** ، العدد 404 ، و أ ش إ ، الرباط ، المغرب 1957 م ، ص 76 .

[4] – محمد الضعيف الرباطي ، **تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)** ، (تح و تع و تق : أحمد العماري) ، ط1 دار المأثورات ، الرباط ، المغرب ، 1986 م ، ص 69 .

المطلب الثاني : الدولة العثمانية

أ – الأوضاع السياسية :

– داخليا :

تولى السلطان محمد الرابع [1] مقاليد الحكم وهو يبلغ من العمر سبع سنوات ، دامت مدة سلطته إحدى و أربعين سنة ، تولت جدته وصايته و إدارة أمور المملكة التي كانت تدعى ماه بيكر و تعرف باسم كوسم [2] ، كانت تدير شؤون السلطة وفق العادة المألوفة [3] وتميز حكمها بداية بمجازاة المتسببين في فراغ الخزينة المالية ، وبعد مرور سنة من تولي السلطان العرش حدثت فتنة بين الأغوات على ترفيع الرتب و الزعامة ، واشتدت الفتن والطغيان في الأناضول وعصيان الانكشاريين ، فعمّ الضعف في جسم الدولة من تغلب الأوجاقيين اللذين كانوا يعزلون الوزراء تباعا و يولون من ليسوا أهلا للوزارة ، فزادوا في الإسراف و التبذير و صاروا يتسابقون على المناصب و الرشاوي و سرقة الأموال [4].

ثمّ سرى الظلم على الأهالي بزيادة الضرائب بما لا يحتمل و يطاق ، وازداد البلاء من أعمال الصدر الأعظم في قتل أصحاب الثروة و مصادرة أموالهم ، واستمرت الفتن والاضطرابات إلى أن هجم الأوجاق و الانكشارية على قصر السلطنة بمساعدة من الأغوات وقتلوا السلطانة ماه بيكر ، كما قام الصدر الأعظم بقتل جميع الأغوات التابعين لها بزعمه أن ذلك من باب الاحتياط ، لئلا يقصد أحدهم بالسلطان سوءا [5].

---

[1] – ولد سنة 1641 م ، تولى حكم الدولة العثمانية ما بين فترة (1648 – 1687 م) و هو في سن السابعة ، شهدت فترة حكمه العديد من الاضطرابات الداخلية و الخارجية التي تمثلت في حروبه مع البنادقة **للمزيد أنظر** : علي محمد محمد الصلابي ، **الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط** ، ط1 ، دار التوزيع و النشر الإسلامية ، مصر 2001 م ، ص 307 ،308 ، **أنظر أيضا** : الملحق رقم 02.

[2] – ابراهيم بك حليم ، **التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية** ، ط1 ، مؤسسة الكتب الثقافية لبنان 1988 م ، ص 141.

[3] – عزلتو يوسف بك أصاف ، **تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن** ،(تق : محمد زينهم عزب) ، ط1 مكتبة مديولي للنشر ، القاهرة ، 1990 م ، ص 89 .

[4] – ابراهيم بك حليم ، مصدر سابق ، ص 141 .

[5] – نفسه ، ص 142 .

فانزعج باقي الأغوات ، فتسلحوا وأخرجوا الراية الشريفة ، وطلبوا العلماء والعساكر الطائعين وجمعوهم في ساحة الجامع ، وقبضوا على أغلب الأوجاقيين والمفتي ونفوهم
وفي العالم الموالي عصى الصدر الأعظم المعزول السلطان واتفق مع والي بغداد واستوليا على أنقرة و قتل الإنكشاريين الموجودين هناك [1] وتمّ تولية أحمد باشا طرخونجي الذي هم بإصلاح الأمور وتدارك الاختلال ونفي المتسببين في الفتن والاضطرابات [2].

في سنة 1655 م دعت الدولة العثمانية أبشير باشا لتعينه للصدارة ، فلم يطع الأوامر بل جمع عساكره وجاء بهم للأستانة ، وأصبح الصدر الأعظم الذي يعزل ويولي من يشاء فكثرت مظالمه وازداد كبرياؤه ، فحرك بعض الوزراء البعض من سفهاء الإنكشاريين على نهب بيتي الصدر الأعظم و شيخ الإسلام ففعلوا و قتلوا أبشير باشا الصدر الأعظم بقطع رأسه ، و ازداد الظلم و الطغيان و اجتمع الأوجاقيون ليصلبوا كل من وجدوه من الأغوات على الأشجار بجوار جامع السلطان أحمد ، واستمروا على ذلك أربعة أيام متوالية [3].

دام الاضطراب إلى أن تولى الوزير محمد باشا الشهير بكوبريلي [4] ، فقد رأى فيه الإنكشاريون رجلا خبيرا بدخائل الأمور قادرا على قمعهم و إلزامهم بالعودة إلى السكينة والاستقرار [5].

- خارجيا :

تولى السلطان محمد الرابع الحكم و الحرب مشتعلة في جزيرة كريت مع البنادقة الذين صمدوا أمام الهجمات العثمانية [6] ، فلم تمض ثلاث سنوات حتى استطاع البنادقة بالتعاون

---

[1] – ابراهيم بك حليم ، مصدر سابق ، ص 142.

[2] – عزلتو يوسف بك أصاف ، مرجع سابق ، ص 90 .

[3] – ابراهيم بك حليم ، مصدر سابق ، ص142.

[4] – الكوبرو : هو الجسر و معناها صاحب الجسور أو صانع الجسور ، و قد كان لأسرة كوبرولي شأن كبير في التاريخ العثماني **للمزيد أنظر** : محمد فريد بك المحامي ، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** ،(تح : إحسان حقي) ، ط1 ، دار النفائس ، لبنان ، 1981 م ، ص 290 .

[5] – نفسه ، ص 290 .

[6] – اسماعيل محمد ياغي ، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث** ، ط2 ، مكتبة العبيكان للنشر ، الرياض 1998 م ، ص 109 .

مع القديس يوحنا [1] إلحاق هزيمة كبيرة بالأسطول العثماني ، فتمكنوا من السيطرة على مضيق الدردنيل [2].

في ظل هذه الاضطرابات تولى محمد باشا الكوبرلي الصدارة و كان يحسن تدبير الأمور فدبت الحياة من جديد في الدولة [3] ، وبث فيها روحا جديدة اتسمت بالحزم و القوة ضد جيرانها في الشمال (روسيا) فلما حاول أمير ترانسلفانيا عدم الوفاء بالتزاماته المالية اتجاه السلطان عزله و ولي مكانه ميخائيل أبافي مما كان سببا في قيام حرب تزعمها المجريون وانضمت إليهم القوى الأوربية ، فظهرت بذلك الحرب الصليبية في أوربا ضد العثمانيين فدفع خطرهم ، وما كان على العثمانيين إلا الدفاع عن كيانهم في أوربا .

اجتاحت جيوشهم المجر سنة 1663 م ، ثم انطلقت هذه الجيوش في زحفها تهدد فيينا عاصمة النمسا فتجمعت الجيوش الصليبية وخاض معهم معارك ضارية كتب لهم فيها النصر وبالرغم من هذا النصر الكبير فقد عقد السلطان محمد صلحا معهم ليتفرغ لمناوأة السياسة الفرنسية التي أخذت في معاداته تحت وطأة البابوية و رجال الكنيسة [4].

وعندما تولى أحمد باشا الصدارة العظمى خلفا لوالده ، قاد الجيوش العثمانية بنفسه واستطاع أن يحقق النصر [5] ، ثمّ توجه لمحاربة النمسا ووضع حصارا أمام قلعة نوهزل [6] في 17 أوت 1663 م ، ورغم مناعة هذه القلعة و شهرتها في جميع أوربا وعدم استطاعة أي أحد التغلب عليها أو فتحها ، فقد اضطر كوبرلي إلى تسليمها بشرط خروج جنوده دون

---

[1] – قام القديس يوحنا بتأسيس مؤسسة والتي بدأ عملها كمنظمة خيرية دينية و كان لها في مدينة القدس قبل الحروب الصليبية مأوى لمساعدة المحتاجين و عندما نشبت الحروب الصليبية حولت هده الهيئة إلى منظمة عسكرية تعنى بالأخص بمعالجة الجرحى في المعارك الحربية ، ثم تم طردهم من فلسطين ، فانتقلوا إلى جزيرة رودس و أسسوا مملكة مسيحية تحت رعاية البابا و حماية الملوك المسيحيين **للمزيد أنظر** : عمر محمد الباروني ، **الإسبان و فرسان القديس يوحنا في طرابلس** ، مطبعة ماجي ، طرابلس ، 1952 م ، ص 85 .

[2] – اسماعيل محمد ياغي ، مرجع سابق ، ص 110 ، **أنظر أيضا** : كارل بلوكمان ، **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، (تح: أمين فارس) ، منير البعلبكي ، ط5 ، دار العلم للملايين ، لبنان ، 1973 م ، ص 516 .

[3] – ابراهيم بك حليم ، مصدر سابق ، ص 143 .

[4] – اسماعيل محمد ياغي ، مرجع سابق ، ص 111 .

[5] – نفسه ، ص 111 .

[6] – نوهزل : Neuhausel و تقع في الشرق من فيينا عاصمة النمسا **للمزيد أنظر** : محمد فريد بك المحامي ، مصدر سابق ، ص 295.

أن يمسهم ضرر ، وتمّ إخلاؤها في سبتمبر من نفس السنة ، وكان هذا الحدث كالصاعقة على أوربا وعلى امبراطور النمسا خاصة [1] ثم تقدم أحمد باشا إلى أخر معاقل البنادقة في جزيرة كريت ، و أحكم الحصار حولها حتى فتحها عام 1670 م ولقد خاض العثمانيون من أجل انتزاع كريت من البنادقة حروبا دامية استطال أمدها خمسة و عشرين عاما رغم كثرة المساعدات التي قدمتها فرنسا لهم بأسطولها الكبير و كذلك الإمبراطور الألماني وبعض دوقيات أوربا طوال مدة الحرب فسقطت كريت في أيدي العثمانيين و طرد منها البنادقة رغم طول مدة الدفاع عنها والتحصن بها ، وهكذا سيطر العثمانيون على شرق البحر المتوسط سيطرة كاملة [2]، وفي هذه الظروف وقعت حرب بين السويد وبولونيا فطلب ملك السويد المساعدة من العثمانيين ضد بولونيا وأن يكون تحت حمايتهم ، فاتجه العثمانيون إلى بولونيا لإخضاعها ، وقامت بينهما معارك عام 1672 م فقد فيها البولونيون القلعة القائمة بين الحدود المشتركة بعد حصار قصير الأمد ، فاضطر ملك بولونيا إلى عقد صلح تخلى فيه عن جزء من بودوليا وأوكرانيا.

لكن الحرب عادت من جديد واستمرت حتى سنة 1674 م ، وفيها جدد الملك البولوني الصلح ، بعد أن فقد معظم جيوشه في هذه الحروب المستمرة وتنازل للدولة العثمانية عن الجزء الباقي من بودوليا وأوكرانيا وكان هذا الصلح أخر أعمال كوبريلي أحمد باشا الذي توفي بعد إتمامها بقليل في 30 أكتوبر 1676 م عن عمر يناهز واحد وأربعين سنة قضى منها خمسة عشر سنة في منصب الصدارة العظمى [5].

وفي إطار علاقة الدولة العثمانية الخارجية أيضا تميزت بينها وبين الجزائر في فترة ما بين (1659 – 1671 م) و التي تسمى بعهد الأغوات في الجزائر بالتوتر بين الطرفين ويعود سبب ذلك إلى تأخر الدولة العثمانية في إرسال باشا إلى الجزائر ، في حين أنها كانت

[1] – محمد فريد بك المحامي ، مصدر سابق ، ص 295 .

[2] – اسماعيل محمد ياغي ، مرجع سابق ، ص 111 .

[5] – محمد فريد بك المحامي ، مصدر سابق ، ص 300 .

ترسل قبل هذا تعيينه لمدة ثلاث سنوات فقط ، وبذلك ستشهد الإيالة توترا سياسيا و عدم استقرار [1] لذا حاول رمضان الذي تولى الحكم بعد موت خليل بولكباشي في أكتوبر 1660م والذي يعرف باسم يورك رمضان [2] إعادة الأمور إلى نصابها مع الباب العالي و قام بإرسال وفد خلال شتاء 1661 م لطلب الشفاعة من السلطان و لتجديد الولاء له ، ولمّا حظي هذا الوفد بمقابلة السلطان اشتكوا له وضع البلاد وقالوا (لو أرسلت لنا كلبا لقبلناه باشا علينا) لكن الأمر كله كان بيد كوبرلي محمد باشا الذي لم يستمع لهم و لم يقبل استشفاءهم و هكذا فضل الوفد الجزائري الانتظار بصبر حتى يلين موقف الصدر الأعظم [3].

في عام 1667 م قرر الصدر الأعظم إتمام فتح جزيرة كريت التي استعصيت قصبتها على العثمانيين قرابة عشرين سنة ، فتوجه لحصارها وأمر الإيالات المغربية بإرسال سفنها لتقوم بحماية السفن العثمانية الناقلة للعساكر و الذخيرة و بعد إكمال مهمتهم دخل الرياس الجزائريون البحر الأدرياتيكي حيث أغاروا على عدة مواقع ساحلية و نهبوها [4] وكانت لهم مواجهات مع البنادقة ، خسروا خلالها بعضا من سفنهم ثم بعث البابا العالي في ماي 1668 م أمرا سلطانيا للديوان في الجزائر باستقدام عمارة بحرية لكن الرياس ماطلوا في الخروج حتى ورد أمر أخر يستعجل مسيرهم و في بداية سنة 1669 م تحركت عشر غاليوطات من الجزائر و تونس للالتحاق بالأسطول العثماني و في تلك السنة وضع العثمانيون بكل ثقلهم في المعركة و تمكنوا أخيرا من فتح قصبة جزيرة كريت (قانديا) [5] .

---

[1] – محمود شاكر ، **التاريخ الإسلامي (العهد العثماني)** ، ج8 ، ط4 ، المكتب الإسلامي بيروت ، 2000 م ص521.

[2] – ابن المفتي حسين بن رجب شاوش ، **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر و علمائها** ، (دراسة و تح : فارس كعوان) ، ط1 ، بيت الحكمة ، الجزائر ، 2009 م ، ص 54 .

[3] – أمين محرز ،" **الجزائر في عهد الأغوات (1659 – 1671 م)** " ، مذكرة ماجستير ، (إشراف : أ . عائشة غطاس) ، منشورة ، تخصص تاريخ حديث ، جامعة الجزائر ، 2007 م ، ص 57 .

[4] – عزير سامح ألتر ، مرجع سابق ، ص 396 .

[5] – نفسه ، ص 397 .

كان الجزائريون قد تعرضوا لخسائر معتبرة أثناء نقلهم للذخائر و الأرزاق إليها على يد البنادقة و حلفائهم الذين هبوا لنجدة المدينة المشرفة على السقوط و في طريق رجعتهم هاجم الرياس السفن المبحرة والسواحل جنوب البحر الأدرياتيكي [1] استمر الجزائريون في مهاجمة البنادقة حتى بعد انتهاء حرب كريت انتقاما لخسائرهم حتى سنة 1672 م ولم يكفوا عن ذلك إلا بعد طلبات متكررة من الباب العالي [2].

ب – الأوضاع الاقتصادية :

من المؤكد أن المصاعب السياسية و العسكرية ألقت بثقلها على الوضع الاقتصادي للدولة العثمانية ، فقد كان الاقتصاد يتميز بطابع محلي باستثناء مدينة اسطنبول العاصمة وبعض المدن الكبرى وقد أدت النفقات العسكرية المترتبة على الحروب إلى نتائج مالية وضريبية : تخفيضات لقيمة العملة ، ضرائب إضافية ، رسوم استثنائية ، تخلف من دفع المرتبات صك العملات ذات العيار الرديء [3].

في هذه الظروف أصبح الإنتاج الداخلي غير منتظم ، وهذا ما أدى إلى نزوح الفلاحين وارتفاع الأسعار والتمردات في المدن خاصة في اسطنبول المركز الضخم للاستهلاك ومن حيث المبدأ فإن تنظيم الدولة وهياكل حيازة الأرض والسيطرة على الإنتاج وخاصة نقل المواد الغذائية و المنتوجات و المواد اللازمة للدولة و للحرفيين ، كان عليها أن تتفادى أثار أي أزمة اقتصادية ، وفي المدن توفير احتياجات السكان والإشراف على المؤن هما من اختصاص الصدر الأعظم أو نائبه في اسطنبول [4].

والحال أن أسعار الشراء المقررة لا ترضي المنتجين بالضرورة وهو ما يمكن أن يشجع على البيع عن طريق التهريب ، خاصة فيما يتعلق بالقمح ، ويحتل إمداد العاصمة بالقمح المرتبة الأولى بين شواغل الدولة العثمانية ويتدخل الدولة لتحديد الأقاليم التي يجب عليها توفيره وذلك على نحو خاص ، من زاوية تسهيلات النقل ومدى أهمية إنتاج الأقاليم المعنية

---

[1] – أمين محرز ، مرجع سابق ، ص 66 .

[2] – نفسه، ص 67 .

[3] – روبير مانتران ، **تاريخ الدولة العثمانية** ، ج1 ، (تح : بشير السباعي) ، ط1 ، مكتبة الإسكندرية ، مصر ، 1993م ص 379 .

[4] – نفسه ، ص 380 .

وعندما توجد مدينة في إقليم منتج أو على مقربة من أحد هذه الأقاليم ، فإنها تزود نفسها بالمؤن منه على نحو مباشر ، وإذا كان هذا الإقليم ينتج ما يفيض عند الاحتياجات المطلوبة له فإن الفائض يسلم إلى الولايات والمدن و الجزر الأكثر قربا إليه [1].

هذا فيما يخص الأوضاع الاقتصادية داخلياً أما خارجياً فقد كانت بعض منتوجات الدولة المطلوبة في الخارج مثل : الجلود المدبوغة و غير المدبوغة ، الصوف ، القطن ، الحرير التوابل ، أمّا الدولة فكانت تطلب القصدير والورق و الأقمشة الفاخرة والزجاج و التوابل والعملات ، إذ كان عليها دفع ثمن وارداتها القادمة من الهند ومن الشرق الأقصى بالعملة الفضية المطلوبة بشكل خاص في الشرق ، وتسوى الصادرات إلى الغرب جزئيا عن طريق الواردات وذلك لأن الغربيين قد أدركوا أهمية وفائدة تجارة العملة وهذه التجارة لا تشمل لا الحبوب ولا الأخشاب ، التي ينظر إليها على أنها منتجات ذات ضرورة أولية ويحظر تصديرها على أن الحبوب تصبح موضوعا لتهريب نشيط بشكل خاص في بحر ايجة [2].

لم يكن العثمانيون يحتلون مكانة رئيسية في التجارة الدولية ، كما أن عددا معينا من المنتجات التي يبيعونها أو التي كان الأوربيون يجيئون لطلبها في مدنهم قد أصبح بالإمكان العثور عليها في أماكن أخرى بشكل مباشر ، وقد حصلت معظم الدول الأوربية على امتيازات من السلاطين العثمانيين و تسنى لها إنشاء قنصليات في المدن الرئيسية للدولة كانت مهمتهم تتمثل في حماية تجار بلادهم و أن يلعبوا دور الوسطاء بين هؤلاء التجار والدولة العثمانية [3]، ونظرا للظروف التي كانت تمر بها الدولة من حروب مع جيرانها في الشمال وشرق أوروبا ، انحصرت علاقتها التجارية مع بعض المناطق من الجمهوريات الإيطالية أو البلاد العربية العثمانية ومناطق أخرى.

[1] – روبير مانتران، مرجع سابق ، ص 381 .

[2] – نفسه ، ص384.

[3] – نفسه ، ص 385 ، 386 .

المبحث الثاني : العلاقات السياسية بين البلدين

المطلب الأول : في أواخر العهد السعدي

أ – طبيعة العلاقات :

منذ تولي الأشراف السعديين السلطة في المغرب الأقصى وجدوا أنهم الأحق بخلافة المسلمين فاتخذ البعض لقب الخليفة استنادا لنسبهم الشريف ، كما ادعوا وهذا ما منعهم من الاعتراف بالسيادة العثمانية و شعارهم في ذلك " العثمانيون عجم " [1] وعلى النقيض من ذلك أحس العثمانيون أنهم أولى وأحق بشرف خلافة المسلمين ، إذ اعترف بهم شريف مكة (بركات الثاني) وسلمهم مفاتيح الكعبة ولقب السلطان العثماني بخادم الحرمين الشريفين[2]. علاوة على ذلك أصبحت دولة واسعة ضمت بين جنباتها أراضي إسلامية بل امتدت حتى شرق أوربا ، هذا إلى جانب أنها تحمل على عاتقها الدفاع عن الإسلام و المسلمين في جميع أنحاء العالم [3]، على هذا الأساس بنيت العلاقات بين الطرفين وهو أحقية الخلافة فتأرجحت بين التوتر والصراع وتارة بين الود والسلم .

ب – العلاقات الدبلوماسية في عهد السلطان أحمد المنصور :

اتسمت العلاقات في عهد السلطان أحمد المنصور بالود والسلم التام مع السلاطين العثمانيين خاصة بعد انتصاره في معركة وادي المخازن سنة 1578 م حين تلقى التهاني والهدايا من الباب العالي لانتصاره على الكفار، فأقيمت أسواق التباشير بنصر الملة واعتزاز الدين و إعلاء الكلمة [4] ، وممّا جعل الدولة العثمانية تتبع سياسة المهادنة إزاء

---

[1] – يدعي المغاربة أن العثمانيين ليس لهم أحقية بخلافة المسلمين لأنهم ليسوا بعرب ، و أنهم هم أولى بالخلافة لنسبهم الشريف العلوي ، **للمزيد أنظر** : أحمد سالم علي ،" العلاقات العثمانية – المغربية خلال القرن السادس عشر" ، **مجلة كان التاريخية** ، العدد 13 ، دار ناشري ، الكويت ، 2011 م ، ص 49 .

[2] – محمود شاكر ، مرجع سابق ، ص 240 .

[3] – أحمد سالم علي، مرجع سابق ، ص 49 .

[4] – عبد العزيز القشتالي ، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا** ، (دراسة و تح : عبد الكريم كريم) ، و أ ش إ الرباط ، المغرب ،1972 م، ص 48 .

المغرب هو رحيل سلطانها القوي سليمان القانوني(1520-1566م) لا سيما بعد هزيمة أسطولها في معركة ليبانت [1] والمغرب بدوره تركزت دولته حين أتم السعديون توحيد البلاد تحت سلطتهم وحرروا عددا من الأراضي المحتلة فلم يعد فيه مطمعا لأحد [2].

تتجسد علاقتهما السلمية في تبادل الطرفين للرسائل [3] التي تدل على حسن علاقات الجوار بينهما ، والتي تم فيها الاعتراف بسيادة السعديين على المغرب الأقصى وفي مقابل ذلك قام السعديون بحفظ الود للعثمانيين [4].

وجاء في الرسالة التي أرسلها المنصور مع سفير له لدى السلطان العثماني بشأن استرداد الأندلس وتخليص المسلمين المعذبين: " ..... **فإنا كتبناه إليكم و اليمن خفاق الجناح وصنائع الله لا تنفك ركائبها مخيمة بالمقيل و الرواح و أوجه البشائر و ضيئة مصابيح الاهتداء والمنة لله – مضيئة من دار ملكنا و وسطى سلكنا حمراء و مراكش – كلاها الله – حيث العزائم في جهاد الكفر منصوبة و أمثال السمهرية معملة في قمعهم مضروبة و عتق الجياد ، في فريضة الجهاد مركوبة ومجنوبة و أسود الكفاح من كل شاكي السلاح رايضة و مرهوبة** .... " [5].

لعل أعظم سفارة أرسلها السلطان أحمد المنصور إلى السلطان مراد الثالث (1574 – 1594 م) هي سفارة علي بن محمد التمكروتي [6] و كاتبه محمد بن علي بن أبي قاسم سنة 1589 م .

---

[1] – وقعت معركة ليبانت سنة 1571 م بين الدولة العثمانية و الدول الأوربية متحدة فيما بينها ، كانت هزيمة قاسية للبحرية العثمانية ، **للمزيد أنظر** : محمود السيد الدغيق ، **أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية** ، ندوة عقدها الإتحاد بالقاهرة 1993 م ، ص 406 و ما بعدها .

[2] – محمد حجي ، "العلاقات المغربية ـ التركية في القرن السادس عشر" ، **مجلة المناهل** ، العدد 25 ، وزارة الشؤون الثقافية ، الرباط ، المغرب ، 1982 م ، ص 24 .

[3] – أنظر ملحق رقم 03.

[4] – عبد المنعم الجميعي ، **الدولة العثمانية و المغرب العربي** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2007 م ، ص 62 .

[5] – محمد حجي ، " العلاقات المغربية ـ التركية في القرن السادس عشر "، مرجع سابق ، ص 19 .

[6] – ولد سنة 1534 م بدرعة ، عائلته لها صلات بالسلاطين السعديين عاش في كنف والده الشيخ محمد البكري ، اشتهر بكتابة النفحة المسكية في السفارة التركية ، توفي سنة 1594 م ، **للمزيد أنظر** : علي بن محمد التمكروتي ، **النفحة المسكية في السفارة التركية** ، (تق و تح : عبد اللطيف الشاذلي) ، المطبعة الملكية ، الرباط ، المغرب ، 2002 م ص 06 .

وذلك من أجل حمل هديته وتبليغ رسالته إلى السلطان العثماني ، ويظهر ذلك في كتابة النفحة المسكية في السفارة التركية الذي كتبه في رحب الدولة العثمانية ملما بجميع ما جاء في تلك السفارة من استقبالهم في البلاط العثماني والترحيب بهم وأخذ هديتهم وأبرز المناطق التي زارها في اسطنبول وغيرها [1].

في سنة 1594 م أرسل السلطان أحمد المنصور رسالة أخرى إلى الصدر الأعظم سنان باشا يعزيه في موت السلطان مراد الثالث و يهنئه بتولية ابنه محمد الثالث (1594 – 1603 م) معبرا له عن مساندته و وقوفه إلى جانب الدولة العثمانية التي تحمل لواء الإسلام [2] و ممّا زاد من ود الدولتين هو ترحيب الدولة العثمانية بالجهاد البحري للدولة السعدية واسترجاعها للمدن المغربية من أيدي تلك القوى الأجنبية المعادية لهما وكونها العدو المشترك بينهما [3].

استمرت العلاقات هكذا بين الطرفين حتى نهاية سنة 1603 م حين توفي أحمد المنصور ومحمد الثالث في نفس السنة ، بعدها عرفت العلاقات تراجعا بسبب ما ألت إليه المغرب من أوضاع سياسية متدهورة وفوضى انتشرت في كامل التراب المغربي .

المطلب الثاني : تطورها في بداية العهد العلوي

أ – الاعتداء المغربي على الأراضي الجزائرية :

بعدما تمكن السلطان محمد بن الشريف من إبعاد الدلائيين و أن يفرض نفوذه في جنوب المغرب الأقصى وجه أنظاره إلى الجهة الشرقية رغبة منه في التوسع أكثر على حساب الأراضي الجزائرية وفي نفس الوقت ليبعد خطر أطماعهم في المغرب ، وبذلك انضمت إليه قبائل عديدة من تلك المنطقة ، مثل قبائل الأحلاف و سقونة من عرب المعقل و قبلوا

[1] – التمكروتي ، مصدر سابق ، ص 99 .

[2] – محمد حجي ، العلاقات المغربية ـ التركية في القرن السادس عشر ، مرجع سابق ، ص 20 .

[3] – عبد المنعم الجميعي ، مرجع سابق ، ص 63 .

زعامته وأيدوه في زحفه إلى مدينة وجدة شمالا [1] ، فاستطاع الاستيلاء عليها سنة 1650م وقام بإخلائها من العناصر العثمانية والقبائل المجاورة لوجدة .

هكذا أثمرت حروب السلطان محمد بن الشريف ضد الوجود العثماني في الجزائر محققا بذلك سمعة وانتصارات حدت من مطامع العثمانيين في المنطقة ، ولعل ما شغلهم عن صد تلك الهجومات ظروف دولتهم التي كان سلطانها ابراهيم الأول [2] الذي كان يواجه تمرد الجيش الإنكشاري وقواده ، فعزلوه وولوا مكانه ابنه الذي لم يتجاوز السابعة ، وانتهى بقتله سنة 1648 م [3].

كما شهدت الدولة العثمانية في هذه المرحلة اضطرابات بسبب حروبها المتعددة في البلاد الأوربية ، ولولا هذه الظروف لما تأخر العثمانيون ولا ولاتهم في الجزائر عن تحقيق ما كانوا يظهرونه من مطامع في المغرب خصوصا في عهد تفكك دولة السعديين وما أل إليه المغرب من تمزق [4].

استغل السلطان محمد بن الشريف أوضاع الدولة العثمانية فاستمرت حروبه في الناحية الشرقية دون أن تكلفه ثمنا بل كانت موردا يستمد منه القوة بالرجال و السلاح ، ففي سنة 1667 م حاصر تلمسان فأغار على صرحها و صرح القرى المجاورة لها فخرج أهلها ومعهم الجيوش الجزائرية التي كانت بالقصبة فأوقع بهم وقتل منهم عددا كبيرا ثمّ رجع إلى وجدة ، ولما انتهى فصل الشتاء خرج على طريق الصحراء فهجم على قبيلة الجعافرة

---

[1] – محمد علي داهش ، " العلاقات المغربية ـ العثمانية (1650 – 1830 م) " ، **مجلة كلية الإنسانيات و العلوم الاجتماعية** ، العدد 18، جامعة قطر ، 1995 م ، ص 162 .

[2] – هو ابن أحمد الأول ولد سنة 1615 م ، احتل القزاق و مدينة أزاق و فتحت في أيامه جزيرة كريت ، عزله الإنكشاريون و قتلوه سنة 1648 م ، **للمزيد أنظر** : محمود شاكر ، مرجع سابق ، ص 133 .

[3] – عبد الكريم الفيلالي ، **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير** ، ج4 ، ط1 ، شركة ناس للطباعة ، القاهرة 2006م ، ص 94 .

[4] – نفسه، ص 95 .

ونهب أموالهم وأعلنت بعض القبائل الطاعة والولاء له مثل قبيلة دخيسة فأكرموه و دلوه على الأغواط وعين ماضي والغاسول وبذلك تمّ الاعتداء على الأراضي الجزائرية وسكانها وأملاكهم بسبب القوة العسكرية وبعد نجدة السلطة العثمانية عن هذه المناطق [1].

في سنة 1673 م تمردت مراكش ضد السلطان اسماعيل فاستلم أحمد بن محرز الحكم فيها في هذه الأثناء أرسل السلطان بعض المرابطين إلى تلمسان لإثارة الشغب والعصيان فيها لكن الجزائريين قمعوا المتمردين ففر قسم منهم إلى مقبرة سيدي بومدين فاستولى العساكر العثمانيون على المنطقة وردا على تحركات السلطان اسماعيل في المناطق العثمانية ، قام الجزائريون بمساعدة المطالبين بالحكم ببعض التحركات إذ أرسلوا قطاع الطرق إلى تلك المناطق [2].

توجه السلطان اسماعيل سنة 1678 م بجيشه إلى ما وراء واد تافنة [3] ليؤكد أهمية الحد بينه وبين الجزائر ، وأثناء ذلك أمر بتجديد أسوار مدينة وجدة و تحصينها [4].

ب – رسم الحدود بين البلدين :

لقد شكل استقرار السلطان محمد بن الشريف في وجدة عام 1650م نقطة تهديد مغربي للوجود العثماني في الجزائر فاضطرب هؤلاء خشية أن يتمرد عليهم الجزائريون خاصة تلك القبائل التي كانت ترفض الوجود العثماني في الجزائر وعليه استعدوا للمواجهة واستجمعوا قواتهم واستنفروها ضدهم ، ورغم تلك المناوشات التي دارت بين الطرفين طيلة تلك الفترة إلا أنها لم تسفر عن هزيمة أي طرف [5]، هنا بادرت الجزائر انطلاقا من الارتكاز على الرابطة الدينية بإرسال لجنة من العلماء تتكون من أربعة أشخاص منهم الفقيه عبد الله بن الغفار النفزي و الحاج محمد بن عبد العالي الحضري المزغناوي و اثنين من ديوان

---

[1] – الناصري ، مصدر سابق ، ص 21 ؛ محمد بن الطيب القادري ، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني** ج2 ، (تح : محمد حجي ، أحمد التوفيق) ، مطبوعات دار المغرب ، الرباط ، المغرب ، 1977 م ، ص 87 .

[2] – عزيز سامع ألتر ، مرجع سابق ، ص 438 .

[3] – ينبع من جبال تقع في تخوم نوميديا ، ثم يسيل نحو الشمال عبر قفر أنكاد إلى أن يصب في البحر المتوسط ، ماراً على بعد نحو 22.5 كلم من تلمسان ، **للمزيد أنظر** : حسن الوزان ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 250 ، 251 .

[4] – اسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي ، **تاريخ وجدة و أنكاد في دوحة الأمجاد** ، ج1 ، ط1 ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ، المغرب ، 1985 م ، ص 87 .

[5] – محمد علي داهش ، مرجع سابق ، ص 163 .

الداي عثمان [1] ، و قد ورد في الرسالة التي حاول الكاتب بها التأثير على السلطان محمد بن الشريف و توجيه حروبه ضد البربر الذين مزقوا ملك المغرب كما حاول رد الاعتبار للداي ، لكنه انتهى باستعطافه راجيا منه ترك جانب الجزائر [2].

في هذا الصدد جاء في الرسالة ما يلي : " ... **و ما مرادنا إلا أمان العرب في المواضع ليطيب لها جولان الانتقال في المشاتي و المرابع ، و يجلب لهم الغني و العديم ما يحصل له فيه الربع بين الكساء و الحنة و الأديم ، فإن تعلقت لك الحكمة بالولاية عليك بالمدن التي حجرها عليك هماج البرابر و العجاج و مخاطرة النفس في الفدافد و الفجاج فناشدناك جدك من الأب و الأم ... إلا ما تجنبت سوائح تلمسان و لا تزاحمها سجن جموع رماة و لا فرسان ، و إن اشتهت الأعراب غارات بعضها على بعض فموعدها ما نأى عن من مطلق الأرض و خمسنا على الغالب حتى يعلموا أن رأيهم عن معاني الصواب غائب ... وغاية عرضنا منكم جميل الجواب بما هو أصفى و أصدق جواب فالله سبحانه يوفقنا لأحمد طريق و يحشرنا مع جدك و برور فريق و السلام من إنشاء الفقيه المحجوب الكاتب الحضري في منتصف رجب الفرد الحرام عام 1065 هـ (1655 م) ...** " [3].

ولمّا قرأ السلطان محمد بن الشريف الرسالة اغتاض مما سمعه من العتب فأحضر الرسل وعاتبهم على قول مرسلهم و تحامله [4] ، فرد بجواب جاء فيه : " ...**هذا و إن الجواب الأجمل الزاهر لعصمان باشا و كافة ديوان الجزائر ، سلام عليكم ما كلا الكمي فرسه و افتكاكه ورحمته تعالى و بركاته فقد كاتبناكم من عزة جبين الصحاري و صرة أمصار شؤون الشرق و الغرب.."**

وفي ختام الرسالة يقول : " ... **فخلتم أن تعدون في أبناء هذا النمط ، و لا غنيمة عرضكم إلا فيما التقط مما رفع أو سقط ، اطمحوا بأبصاركم دون سمعة و لا فخر و لا رياء يظهر لعيناكم برق الترى من الترية و أصحابكم يقصون عليكم ما نظروا لنا من الحزم في الجهاد ... و الله سبحانه يؤيدنا ولاة الإسلام في معونته ...** " [5] .

---

[1] – تولى عثمان باشا الحكم في الجزائر سنة 1655 م ، إذ كانت الجزائر في عهده تتميز بالاضطراب و سيطرة الجيش على إدارة السلطة المحلية ، جاء بعده عدة أغوات من رجال الجيش ، و هذا ما جعله يرسل الرسالة لمحمد بن الشريف لحل النزاعات دون توتر ، **للمزيد أنظر** : محمد الضعيف الرباطي ، مصدر سابق ، ص 19 .

[2] – عبد الكريم الفيلالي ، مرجع سابق ، ص 97 .

[3] – محمد الضعيف الرباطي ، مصدر سابق ، ص 23 .

[4] – نفسه ، ص 23 .

[5] – نفسه ، ص 27 .

من خلال ما جاء في الرسالة يتضح أن السلطان محمد بن الشريف استجاب لما جاء في رسالة الداي عثمان فعمد إلى ترك الناحية الشرقية من المغرب واتخذ واد تافنة حدا فاصل بين المغرب الأقصى والجزائر وذلك سنة 1654 و رغم كثرة الحملات المغربية على الجزائر العثمانية خصوصا في عهد السلطان الرشيد (1660 – 1672 م) والسلطان اسماعيل (1672 – 1727 م) [1] .

إلاّ أنّ الجزائر لوّحت بورقة الحدود واعتمدتها كسبيل لوقف التهديدات ، فبعد جلوس السلطان الرشيد عقب وفاة أخيه محمد علي كرسي الحكم جاءت بعثة عثمانية تطلب إليه أن لا يسمح لجيشه بالتوغل في الأراضي التي توجد تحت نفوذهم ، وهكذا التزم الطرفان بجعل واد تافنة حدا بين البلدين [2] .

إذ تعتبر معاهدة تافنة بمثابة رسم للحدود بين الطرفين في العهد العلوي وللمرة الثانية في تاريخ العلاقات الحدودية بينهما .

[1] – خاليد فؤاد طحطح ، " العلاقات المغربية ــ العثمانية خلال العصر الحديث (القرن السادس عشر أواخر القرن الثامن عشر) " ، **مجلة كان التاريخية** ، العدد 14 ، دار ناشري ، الكويت ، 2003 م ، ص 108 .

[2] – عبد الهادي التازي ، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم (عهد العلويين)** ، ج9 ، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ، مصر ، 1988 م ، ص 13 .

خاتمة :

مما سبق ذكره نستنتج أن الأوضاع التي كانت تشهدها الدولة العثمانية من اضطرابات داخلية وخارجية وانشغالها عن الجزائر ، أدّى إلى التدخل المغربي في شؤونها ومحاولته التوسع على حساب الجزائر ، لكن الدولة العثمانية استطاعت أن تفرض على المغرب عودته إلى الإقرار بمعاهدة التافنا التي رسمت الحدود بين الطرفين منذ العهد السعدي .

تمهيد :

شهدت العقود الأخيرة من القرن السابع عشر والأولى من القرن الثامن عشر بعض التحولات على الأراضي المغربية ، والتي مست البنية الاستراتيجية والأمنية التي أثّرت على مسار هذا البلد ودخلت الدولة العثمانية في هذه الفترة ضمن حروب دموية وأزمات سياسية داخلية وخارجية أدى إلى تراجع مسيرتها الحضارية ، الأمر الذي يؤدي بنا إلى التساؤل عن أوضاع المغرب في هذه الفترة ، وأوضاع الدولة العثمانية وما هي تداعيات هذه المرحلة ؟ .

المبحث الأول : المغرب الأقصى

المطلب الأول : الأوضاع السياسية و العسكرية

أ – عهد السلطان اسماعيل (1679 – 1727 م) :

بعد أن قضى السلطان اسماعيل على الخضر غيلان وحاصر ابن أخيه أحمد محرز في سوس ، ظهرت حركة أخرى قادها الدلائيون لرد الاعتبار لأنفسهم بعدما أوقع بهم السلطان الرشيد في موقعة بطن الرمان ، لكن محاولاتهم باءت بالفشل لصلابة الجيش الإسماعيلي [1].

كمّا وجه سنة 1680 م كتائب لمقابلة أخيه الحران في جبل شاغرو وقادها بنفسه ففر إلى الصحراء بعد أن انهزم جيشه [2] وفي سنة 1687 م تمكن من هزم أل النقسيس في تطوان [3] بعد صراع طويل معهم فعين حاكما عليها ، إذ ستلعب المدينة دورا مهما في علاقاته الخارجية [4].

لقد كابد السلطان اسماعيل فترة طويلة في سبيل القضاء على التمردات والانتفاضات التي كادت أن تطيح بمملكته لولا سياسته الرشيدة في توطيد دعائم الدولة بتعزيز جيشه وضمان تحرير الأراضي المغربية التي كانت بيد الأجانب [5].

---

[1] – سمي بالجيش الاسماعيلي نسبة إلى مؤسسة السلطان اسماعيل ، و سمي أيضا بعبيد البخاري أو العسكر البخاري كان عدده 150000 جندي ، **للمزيد أنظر** : الزياني ، البستان الظريف ، مصدر سابق ، ص 171 .

[2] – عبد العزيز بنعبد الله ، مرجع سابق ، ص 10 .

[3] – تقع مدينة تطوان شمال غرب المغرب الأقصى ، تبعد عن شاطئ البحر المتوسط حوالي 10 كلم ، و يقصد بها هنا مدينة تطوان الحديثة الموجودة الآن ، و هي التي بناها مهاجرو الأندلس في أواخر القرن 15 م على أنقاض تطوان القديمة كانت مستقلة في حكمها عن المغرب الأقصى ، تميزت بحكم أسرة أولاد النقسيس التطوانية خلال القرن 17 م فاشتهروا بالجهاد ضد الغزو الأجنبي ، **للمزيد أنظر** : محمد داود ، مرجع سابق ، ص 85 و ما بعدها .

[4] – جوب لوي ميج و أخرون ، **تطوان الحاضرة الأندلسية المغربية** ، (تر ، مصطفى عطيس) ، ط1 ، منشورات جامعية تطوان أسمير ، المغرب ، 2002 م ، ص 28 .

[5] – عبد العزيز بن عبد الله ، **معطيات الحضارة المغربية** ، ج2 ، دار الكتب العربية ، الرباط ، المغرب ، 1963 م ص 123.

– تحرير المدن المغربية :

بعد وفاة السلطان أحمد المنصور مباشرة تمّ احتلال بعض المدن المغربية منها العرائش والمعمورة (المهدية) والجديدة ، فكانت كالنكبة في تاريخ الدولة المغربية من جهتين أولها كانت شبه انتقام من المغرب المنتصر في معركة وادي المخازن و ثانيها كانت محاولة للتوسع أكثر لغزو المغرب ، وخاصة بعدما اتفق محمد الشيخ ابن أحمد المنصور مع إسبانيا و سلمهم العرائش مقابل مساعدتهم إياه في استرجاع الملك [1].

وعند قيام الدولة العلوية كانت أهم مراكز المغرب الساحلية في قبضة الأجانب فكان الإنجليز يحتلون طنجة و البرتغال البريجة (الجديدة) وإسبانيا المعمورة وأصيلا والعرائش بينما كان الفرنسيون يجولون البحر بسفنهم الحربية بين سواحل الريف و مصب الملوية وأول مبادرة كانت من طرف السلطان الرشيد بتحصين مرسى الحاسمة و حجرة تاكور ثمّ جاء السلطان اسماعيل فعبأ جميع قوى البلاد لإتمام برنامج تحرير المدن المغربية [2] إذ يقول ابن زيدان في المنزع اللطيف حيال ذلك: " ... **قد فتح الله على يد هذا السلطان عدة مدن بالقطر المغربي استسلمها من يد النصارى بعد أن عمروها سنين عديدة من ذلك ثغر باديس من ثغور الريف على يد قائد تطوان البطل المجاهد عبد الكريم الخطيب في شهر رمضان 1091 هـ (1680م) و فتح المعمورة المعروفة في العصر الحاضر بالمهدية كان أخذها الإسبان من يد المسلمين فاحتلها جنوده سنة 1092 هـ (1681 م) ...**" [3].

وفي سنة 1684 م أمر السلطان اسماعيل قائده أبو الحسن علي بن عبد الله بالتوجه إلى طنجة على رأس جيش من المجاهدين لمحاصرتها ، فضيقوا الخناق على الإنجليز حتى فروا بسفنهم و تركوها ، و بذلك استطاع السلطان استرجاعها فشرع في بناء سورها [4] وبعدها خرج السلطان إلى بلاد ملوية ليؤدب قبائل البربر (أيت يوسي و شغروسن و أيوب وعلاهم و قادم و حيون و مديونة) ، فجاءته تلك القبائل معلنة الطاعة و الولاء [5].

---

[1] – عبد الكريم غلاب ، **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي** ، ج2 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2005 م ص 324 .

[2] – عبد العزيز بن عبد الله ، معطيات الحضارة المغربية ، مرجع سابق ، ص 124، **أنظر أيضا** : الملحق رقم 10.

[3] – عبد الرحمان ابن زيدان ، **المنزع اللطيف في مفاخر المولى اسماعيل ابن الشريف** ، (تق و تح : عبد الهادي التازي) ، ط1 ، مطبعة إذيال ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1993 م ، ص 134 .

[4] – محمد الصغير اليفرني ، مصدر سابق ، ص 72 .

[5] – الناصري ، مصدر سابق ، ص 69 .

ثمّ بلغ السلطان سنة 1685 م وهو بمكناسة أن أخاه الحرّان وابن أخيه أحمد ابن محرز قد دخلا قصبة تارودانت واستحوذوا عليها ، فخرج إليهما وحاصرهما وتمكن في سنة 1687 م أن يستولي على المدينة ، وأمر في نفس السنة بقتل أولاد النقسيس بتطوان [1].

وفي سنة 1690 م نجح السلطان اسماعيل في تحرير العرائش من يد الإسبان وأمر جيشه بلبس النعال الصفراء والتخلي عن لبس السوداء ، التي لبسها المغاربة حين احتل الإسبان العرائش حزنا وغضبا على محمد الشيخ السعدي الذي سلم المدينة لهم [2].

أمّا عن تحرير أصيلا فكان سنة 1691 م حيث دخل المجاهدون على المدينة فوقعت الاشتباكات بينهم وبين الإسبان إلى أن ألحقوا بهم الهزيمة فاستولوا على المدينة وعمرها أهل الريف وبنى قائدهم بها مسجدين ومدرسة وحماما وبنى منزله بقلبها ، وفي هذه الأثناء كان السلطان منشغلا بتوطيد السلطة المركزية إلى أن فتح كل أقاليم المغرب بعدها بنى قلعتها ورتب حامية العرائش [3].

ثمّ بعد تحرير أصيلا توجه المجاهدون إلى حصار سبتة [4] فاقتحموها وحاصروها وقد أمدهم السلطان بالجنود من جيشه واستمر القتال بين المغاربة والإنجليز حتى توفي القائد المغربي أبو الحسن علي بن عبد الله الريفي فولي بعده ابنه القائد أبو العباس أحمد بن علي واستمر الحال بينهما على نفس الوتيرة فلم يتم تحريرها إلى الآن [5].

---

[1] – القادري ، مصدر سابق ، ص 339 .

[2] – المراكشي الوجاد ، مصدر سابق ، ص 307 .

[3] – الزياني ، البستان الظريف ، مصدر سابق ، ص 177 .

[4] – تقع مدينة بستة في المغرب الأقصى على ساحل بحر الزقاق ، اتجاه جبل طارق و تبتعد عنه نحو 25.5 كلم فتحها موسى بن نصير سنة 707 م ، تميزت بالصناعات المتعددة مثل صناعة المنتوجات و الصناعات النحاسية و غيرها إلى جانب زراعة أشجار الكروم بكثرة بساتينها ، **للمزيد أنظر** : مارمول كربخال ، **إفريقيا** ، ج2 ، (تر: محمد حجي وأخرون) ، دار المعارف الجديدة ، الرباط ، المغرب ، 1984 م ، ص 216 و ما بعدها .

[5] – الناصري ، مصدر سابق ، ص 78 .

ب – عهد الاضطرابات (1727 – 1757 م) :

دخلت المغرب بعد وفاة السلطان اسماعيل 1727 م في عهد جديد سماه المؤرخون عهد الاضطرابات والفتن بسبب تنازع أبنائه على الحكم وتدخل الجيش فاختل الأمن وانتشر الفساد [1].

شهدت الثلاثون سنة هذه تنصيب عدداً كبيراً من أبناء السلطان اسماعيل ، فلم يكن أحد منهم قادرا على إقرار النظام وحل الأزمة السياسية والتنظيمية كشؤون البلاد ومن أهم مظاهر هذه الأزمة :

– استبداد جيش البخاري وتحكمه في اختيار وخلع السلاطين .

– عودة المجموعة الصنهاجية إلى الثورة مع وجود تغيير ملموس في اتجاهها وهي أنها أصبحت تساند بعض الأمراء ضد أخرين من المرشحين للملك .

– عدم وجود وحدة في الرأي والتعاون داخل الأسرة العلوية حول شخص واحد من الأمراء .

– الاستغناء عن خدمات الإطارات الإدارية والسياسية الرئيسية التي اعتمد عليها السلطان اسماعيل وتعويضها بإطارات أقل كفاءة [2].

ففي سنة 1727 م استطاع أحمد الذهبي [3] أن يغري الجيش من أجل مبايعته ، وعلى إثر ذلك اندلعت حرب أهلية في عدة مناطق (فاس ، الأطلس والسهول الأطلسية ، تطوان) فعجز هذا الأخير عن إعادة إقرار النظام وتهدئة الأوضاع فتدخل الجيش البخاري و قام بعزله وتنصيب أخيه عبد الملك سنة 1728م لكن سرعان ما عادوا إلى بيعة أحمد الذهبي 1729 م و ذلك بعد إغرائه لهم [4].

---

[1] – شوقي ضيف ، **عصر الدول و الإمارات (الجزائر ، المغرب الأقصى ، موريتانيا ، السودان)** ، ط1 ، دار المعارف القاهرة ، 1995 م ، ص 297 .

[2] – ابراهيم حركات ، **المغرب عبر التاريخ** ، ج3 ، ط2 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1994 م ص 65 .

[3] – هو أبو العباس أحمد الملقب بالذهبي (على لقب أبي العباس أحمد المنصور الذهبي السعدي) ابن السلطان اسماعيل بويع سنة 1727 م من قبل الجيش من العبيد و غيرهم من الأحرار الوداية و غيرهم من القبائل ، عزل في سنة 1728 م ثم أعيد تنصيبه سنة 1729 م و في نفس السنة توفي ، **للمزيد أنظر** : القادري ، مصدر سابق ، ج3 ، ص 293 .

[4] – ابن زيدان ، إتحاف أعلام الناس ، مصدر سابق ، ج1 ، ص 232 .

– فترة حكم السلطان عبد الله [1] (1729 – 1757 م) :

عندما توفي أحمد الذهبي اتفق عبيد البخاري والأودايا على مبايعة السلطان عبد الله واستقدامه إلى مكناس بعدما كان في سجلماسة ، ثمّ كاتبوا أهل فاس بالدخول في البيعة نظرا لأهمية فاس الاقتصادية ومكانة مثقفيها على المستوى الشعبي وهكذا حضر السلطان عبد الله وتمت البيعة في7 سبتمبر 1729 م و بذلك أصبح سلطانا على المغرب ، ورغم [2] أنّه خلع من الحكم سبع مرات إلاّ أنّ هذه الفترة يسميها المؤرخون بفترة حكم السلطان عبد الله فشهدت تدهور الأحوال الاقتصادية وانعدم الأمن وامتدت أيدي النهب في البوادي والمدن كما اشتد زحف الجيلين إلى السهول ، وفي خضم هذه الفوضى ظهر الطاعون وتفشى الجوع ، ومع ذلك فإنها لم تستسلم للموت البطيء ، و ما ألت إليه الأمور بل أظهرت الالتحام والترابط الذي كان أقوى من التنافر والتمزق [3].

حيث تمكن السلطان عبد الله من الاحتفاظ بالعرش ، فبويع مراراً في أقاليم المغرب التي كانت أشد الأقاليم ولاءاً له و تمسكاً به إذ أن أمه كانت من إقليم الساقية الحمراء في جنوب المغرب (منطقة الصحراء) و هي الأميرة خناثة بنت بكار [4].

ولمّا استقر السلطان عبد الله على الملك خلال فترة (1744 – 1757 م) حين جددت بيعته السابعة والأخيرة ، شرع في تسوية أوضاع المغرب الداخلية فحل مسألة أخيه المستضيء الذي زاحمه في الحكم واستقر بأصيلا في قصر الخضر غيلان ، ثمّ عمد إلى

---

[1] – هو ابن السلطان اسماعيل ، ولد في 15 فيفري 1710 م ، بايعه جيش عبيد البخاري في مارس سنة 1729 م حكم المغرب ما بين فترة (1729 – 1757 م) لكنه لم يستقر في الحكم بسبب تدخل الجيش و تنصيب إخوته فخلع سبع مرات ، تميزت فترة حكمه بالاضطراب و التوتر السياسي و سوء الأحوال الاقتصادية ، توفي سنة 1757 م تاركا الملك لابنه محمد ، **للمزيد أنظر** : ابن زيدان ، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة ، مصدر سابق ، ص 53 .

[2] – ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، مرجع سابق ، ص 68 .

[3] – محمد الأمين البراز ، **تاريخ الأوبئة و المجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر و التاسع عشر** ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، المغرب ، 1992 م ، ص 20 .

[4] – محمد العربي الشاوش ،" الدولة العلوية المغربية النشأة و الاستقرار و الاستمرار" ، **مجلة دعوة الحق** ، العدد 273 و ش أ إ ، المغرب ، 1957 م ، ص 05 .

التأليف بين القبائل والجيش ، فاستطاع من خلال ذلك أن يبسط حكمه في كل انحاء المغرب [1] وفي سنة 1742 م عمد إلى بناء قوس من قنطرة وادي سبو بعدما تلاشى وانهدم ثمّ في سنة 1743 م اتجه لمحاربة الثائر أحمد بن علي الريفي ووقعت المعركة بينهما فانهزم الريفي و قتل في المعركة [2].

إضافة إلى ذلك عمل على توطيد السلطة في المدن فحاصر جبل مسوفة حتى أطاعوه وخضعوا لحكمه ، ثمّ توجه إلى تادلا فدخل مكناسة وثار أهل فاس على السلطان عبد الله فاضطربت الأحوال حينئذ رجعوا إلى إعلان الطاعة له ، وأخيرًا توجه إلى تافيلالت سنة 1752 م حيث قضى بقية حياته وتوفي بها في 12 نوفمبر 1757 م [3].

لقد قضى السلطان عبد الله طيلة فترة حكمه يهدأ الأوضاع ويخمد الثائرين من الأقاليم وحتى إخوته الذين زاحموه في الحكم وقاموا بخلعه مرات عديدة ، لكن بالمقابل استطاع أن يحافظ على عرش أبيه السلطان اسماعيل ويمهده لابنه محمد الذي سيعيد للمغرب هيبته متبنيا سياسة دفاعية تهدف أولا إلى الوقوف في وجه الأطماع الأوربية وثانيا إلى تقوية الأسطول المغربي واهتمامه بالمدن المغربية المحتلة و نشر الأمن في أصقاع المغرب [4].

المطلب الثاني : علاقة المغرب بالدول الأوربية

أ – فرنسا و انجلترا :

– فرنسا :

اشتهر السلطان اسماعيل بعلاقاته القوية مع الدول الأوربية وخاصة فرنسا مع ملكها لويس الرابع عشر متبنيا سياسة الود والمسالمة وتبادل الرسائل والسفراء والهدايا [5]

ومن أبرز السفارات المغربية التي أرسلها السلطان اسماعيل إلى البلاط الفرنسي هي سفارة

---

[1] – محمد بن محمد بن مصطفى المشرقي ، **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية** (دراسة و تح : إدريس بوهليلة)، ج2 ، ط1 ، و أ ش إ ، المغرب ، 2005 م ، ص 09 .

[2] – القادري ، مصدر سابق ، ج4 ، ص 45 .

[3] – ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، مرجع سابق ، ص 82 .

[4] – محمد رزوق ، **دراسات في تاريخ المغرب** ، ط1 ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب، 1991 م ، ص 123 .

[5] – ابن زيدان ، المنزع اللطيف ، مصدر سابق ، ص 171 .

الحاج محمد تميم [1] كأول سفير للسلطان لدى ملك فرنسا في أواخر سنة 1681 م ، وفي 04 جانفي 1682 م التقى السفير بالملك الفرنسي ، وكان الهدف من هذه السفارة هو التفاوض حول شروط السلم بعدما رفض لويس الرابع عشر التوقيع على معاهدة المعمورة " المهدية " المؤرخة في 13 جويلية 1681 م ، كان من ضمن بنودها مسألة القرصنة وحماية الأسطول التجاري الفرنسي و تبادل الأسرى [2].

أيضا نذكر سفارة دبلون الحاج التي أرسلت بهدف التحالف مع فرنسا ضد الإسبان من أجل تحرير المراكز المحتلة بالمغرب وخاصة سبتة ولكنه فضل بسبب عدم استقباله من طرف الملك الفرنسي [3].

وبخصوص السفارات الفرنسية المرسلة إلى الأراضي المغربية، فقد عملت السلطات الفرنسية إلى إبراز الدور السياسي من خلالها فأرسلت أول سفارة في 29 جانفي 1682 سميت بسفارة سانت أمانس (Saint Aman) وهو ضابط في البحرية الفرنسية، و هدفها الحصول من السلطان اسماعيل على تأكيد ووعد حول معاهدة 29 جانفي 1682 م مع تحفظه على قضية الأسرى المغاربة الموجودين بفرنسا، إلاّ أنها فشلت في معرفة عدد الأسرى الفرنسيين[4]. أمّا سفارة سانت أولون (Saint Olon)، فقد كانت محاولة جديدة لاستدراك النقائص السابقة ففشلت أيضا بسبب امتناع فرنسا التحالف مع المغرب ضد اسبانيا وفي إطار توقيع المعاهدات بين الطرفين، فقد تم في سنة 1698 م ارسال سفارة مغربية بقيادة السفير ابن عائشة إلى الملك الفرنسي الذي تمكن من تبادل الأسرى ، ومن خلالها سمح السلطان اسماعيل لصديق سفيره " لجان" بتأسيس شركة فرنسية سنة 1700م لتقوم بتسهيل التبادل التجاري بين البلدين [5].

---

[1] – هو من أسرة تطوانية مشهورة ، شغل منصب باشا تطوان ثم مدينة سلا ، أول سفير أرسله السلطان اسماعيل إلى بلاط الملك لويس الرابع عشر ، **للمزيد أنظر** : محمد داود ، تاريخ تطوان ، مرجع سابق ، ص 261 .

[2] – نفسه ، ص 162 .

[3] – عمر بن قايد ، " **علاقات المغرب الأقصى السياسية مع دول غرب أوربا المتوسطية (فرنسا و اسبانيا) 1659 – 1727 م** " ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير ، إشراف : عمار بن خروف ، تخصص التاريخ الحديث ، المركز الجامعي بغرداية ، الجزائر، 2011 م ، ص 67 .

[4] – نفسه ، ص 82.

[5] – ابن زيدان، العلائق السياسية للدولة العلوية، مصدر سابق، ص 20.

ورغم العلاقات السلمية بين البلدين، إلاّ أنها لم تمنع فرنسا من استخدام سياسة التهديد في علاقاتها مع كل الدول المغاربية، فشنت حملة شاطورونو الثانية سنة 1680م سببها طرد القراصنة السلاويين من الميناء، وحملة البارون بوانتيس 1700 – 1705 م وحملة تانتي دوكاسار 1720م و 1727م هدفها تطويق الشواطيء المغربية [1].

واستمرت العلاقات الدبلوماسية بين المغرب وفرنسا حتى في عهد السلطان عبد الله والملك لويس الخامس عشر، حيث أرسل السلطان المغربي رسالة سنة 1734م بشأن تبادل الأسرى [2].

انجلتـــــرا :

لقد اتبع السلطان اسماعيل نفس السياسة الخارجية في علاقاته مع انجلترا رغم حصارها لسبتة واحتلالها لطنجة، فكان يتبادل المراسلات مع ملك انجلترا شارل الثاني وبعث له بسفارة أولى وثانية وكاتبه بقصد المحالفة معه، وفي سفارة أخرى كان قد بعثها السلطان اسماعيل إلى انجلترا يشرح فيها له الأسباب التي دفعته لشن حرب هوجاء ضد القراصنة الذين يجهلون القانون و يعبثون به و يوجهون الهجمات على السفن و الشواطئ المغربية [3].

كما وجه رسالة أخرى إلى ملك انجلترا جيمس الثاني الذي تنازل عن العرش و التجأ إلى فرنسا، يدعوه فيها إلى اعتناق الإسلام والتفاوض حول طنجة وكان ذلك سنة 1690م [4].

وفي سنة 1694م ، أبرمت معاهدة بين السلطان اسماعيل والملك الإنجليزي وليم الثاني لإطلاق سراح الأسرى الإنجليز، وقد طلب المغاربة مائتين وسبعين ريالا اسبانيا فدية مقابل كل أسير، فاعتبر الإنجليز أن المبلغ باهض فتوترت العلاقات بينهما [5] .

---

[1] – عمر بن قايد ، مرجع سابق ، ص 104.

[2] – ابن زيدان ، العلائق السياسية للدولة العلوية ، مصدر سابق، ص 58 .

[3] – نفسه ، ص 19.

[4] – محمد الصغير اليفرني ، مصدر سابق، ص 124.

[5] – ب.ج روجرز ، **تاريخ العلاقات الإنجليزية–المغربية حتى عام 1900 م** ، (تر و دراسة و تع : يونان لبيب رزق) ط1 ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1981م، ص 104.

أعيد ابرام المعاهدة من جديد لتسوية الخلافات سنة 1701م ، حيث تمكن الطرفان من إيجاد حل وإطلاق سراح أغلبية الأسرى ماعدا ثلاثين أسيرا [1].

وفي 23 جانفي 1721م ، وقع الطرفان على معاهدة في ميدان التجارة في مدينة فاس حيث تضمنت هذه المعاهدة خمسة عشر مادة، ومنحت من خلالها امتيازات لإنجلترا في المنطقة [2].

كمّا نشطت أيضا العلاقات التجارية في عهد السلطان عبد الله مع إنجلترا، إذ أنها كانت تحتكر بصفة شبه كلية تجارة المغرب الخارجية [3].

ب- اسبانيا و البرتغال:

- اسبانيـــا:

كانت العلاقات المغربية_الإسبانية أقل نشاطاً مقارنة مع فرنسا وإنجلترا، فمن جهة كان المغرب يشهد حالة حرب مع اسبانيا بسبب أراضيه المحتلة، ومن جهة أخرى ظلت العلاقات التجارية التي كان يفترض أن تكون أوسع نطاقا مع كل من اسبانيا والبرتغال خاضعة للهيمنة التي فرضتها انجلترا بمراقبتها للملاحة التجارية واستقرارها بجبل طارق، وأهم الصادرات الاسبانية إلى المغرب في هذه الفترة بعض أنواع الثياب [4].

لكن أهم ميدان يقتضي تواصل البعثات والخطابات الدبلوماسية هو ميدان تبادل الأسرى ومما يؤكد هذا هو سفارة الوزير المغربي محمد بن عبد الوهاب الأندلسي التي أوفدها السلطان اسماعيل في مهمة دبلوماسية لدى البلاط الإسباني ، حيث انطلقت الرحلة من المغرب في 19 أكتوبر 1690 م [5] وعند وصول الوفد إلى البلاط الإسباني تفاوض بشأن مطالب السلطان اسماعيل و التي كانت تتمثل في مطلبين اثنين:

– أولهما، هو طلب تحرير المكتبة المغربية المتألفة من المخطوطات العربية والتي تقدر بخمسة آلاف مخطوط، والتي احتجزت من طرف اسبانيا عند احتلالها للأراضي المغربية.

---

[1] – ب.ج.روجرز ، مرجع سابق ، ص 108.

[2] – نفسه ، ص 127.

[3] – ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، مرجع سابق ، ص 87.

[4] – عبد العزيز بنعبد الله ، تاريخ المغرب (الفترة الحديثة والمعاصرة)، مرجع سابق ، ص 58.

[5] – محمد الغساني الأندلسي، **رحلة الوزير في افتكاك الأسير (1690-1691)** ، (تحرير و تق : نوري الجراح) ، ط1 دار السويدي ، الإمارات ، 2002 م ، ص 12.

– وتمثل المطلب الثاني في اطلاق سراح خمسمائة أسير مسلم في فترة شهدت حروبا لم تنقطع بين الدولتين، واضطهادات للأندلسيين (الموريسكيين) دامت أكثر من قرن ونصف بعد سقوط غرناطة [1] وبعد أن نجحت السفارة واستجابت اسبانيا لمطالبها، عادت إلى المغرب يوم 20 أكتوبر 1691م وهي تحمل معها عدد من الأسرى و الكتب [2].

– البرتغال:

لم تختلف العلاقات المغربية_البرتغالية كثيراً عن العلاقات الأخرى مع الدول الأوروبية، فالبرتغال كانت تحتل المدينة الجديدة، وبالتالي ستكون العلاقات بين الدولتين قائمة على أساس التفاوض بتبادل السفارات لتسوية الأوضاع ، ففي سنة 1684 م أرسلت دولة البرتغال سفارة تهنئة إلى السلطان المغربي بمناسبة انتصاره على انجلترا واسترجاعه لطنجة كمّا فاوضه السفير في بعض المطالب ثمّ عاد إلى بلده يحمل معه هدية ثمينة [3].

وإلى جانب تلك العلاقات ، فإن المغرب كانت تربطه علاقات مع دول أوروبية أخرى، فكان يأتي بوارداته من هولندا إذ يدخل فيها الفولاذ و الحديد والذخائر الحربية وغيرها [4].

وفي إطار المعاهدات، عقد المغرب معاهدة صلح مع هولندا تضمنت اثنين وعشرين بندا. كمّا أقيمت مراكز تجارية بكل من تطوان وسلا وآسفي وسانتا كروز (ايفني) ، وحظي فيها التجار الأوروبيون بامتيازات معينة [5].

ويظهر من خلال هذا أن سياسة المغرب الأقصى في ظل حكم السلطان اسماعيل وابنه السلطان عبد الله ، قد تميزت بالمرونة في ربط أواصر المودة و الصداقة بين الدول المجاورة للمغرب (خاصة الدول الأوروبية) ، اتقاءا لشر أطماعها والحد من غاراتها البحرية على الشواطئ المغربية ، ورغبة منه في الاستفادة من تقدمها في الميدانيين التقني والصناعي ومن خبرة مهندسيها وعسكرييها وخبراتها في ميادين المواصلات والمبادلات التجارية ممّا

[1] – محمد الغساني الأندلسي ، مصدر سابق ، ص 38.

[2] – نفسه، ص 84.

[3] – ابن زيدان ، المتزع اللطيف ، مصدر سابق، ص 175.

[4] – عبد العزيز بنعبدالله ، تاريخ المغرب (الفترة الحديثة والمعاصرة) ، مرجع سابق ، ص 59.

[5] – ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، مرجع سابق ، ص 83.

أدى إلى إثارة انتباه وإعجاب المؤرخين والسفراء الذين دخلوا إلى البلاط الاسماعيلي وخرجوا منه وهم يشيدون بصرامة وذكاء هذا السلطان في علاقاته الدبلوماسية مع الدول[1].

[1]– عبد الكريم الفيلالي، مرجع سابق، ص 177.

المبحث الثاني: الدولة العثمانية

المطلب الأول: المشاكل الداخلية

أ ـ تعاقب السلاطين :

بعد عزل السلطان محمد الرابع من طرف بعض العلماء ورجال الدولة وتوليه أخيه سليمان[1] سنة 1687م، ففي عهده استمر تدهور الدولة العثمانية وازدادت شراسة الأعداء وتوالت الهزائم وأغارت بعض الدول الأوروبية على ممتلكات الدولة العثمانية [2].

فما إن لبث في حكمه، حتى تجمعت عساكر الإنكشارية وراحوا يقتلون ويولون الأحكام، فأخمد السلطان هيجانهم بتفريق الأموال، لكنهم نهضوا بعد مدة قليلة وقتلوا الصدر الأعظم ونهبوا منازل الوزراء وما تركوا منكرا إلا وفعلوه، فلما ضاق ذرع الأهالي وما عاد في امكانهم احتمال تلك الأفعال الوحشية، هجموا عليهم وفرقوا شملهم وقتلوا معظمهم [3].

لكن بعد تعيين مصطفى باشا الكوبري في الصدارة سنة 1689م وكان أكثر الصدور العظام تأثيرا [4]، سعى إلى سن القوانين الملائمة للأهالي ورفع المظالم عن عاتقهم وأجرى التحسين الكافي في الأحوال المالية والإدارية ونظم الجنود وسار بجيشه لمحاربة الدول الأوروبية.

وفي عام 1691م توفي السلطان سليمان الثاني في أدرنة ونقلت جثته إلى استنبول [5] وتولي بعده الحكم أخوه أحمد الثاني [6] ، إذ كان يبلغ من العمر خمسون سنة ومدة سلطته دامت ثلاث سنوات وثمانية أشهر وخمسة وعشرون يوما [7].

---

[1]– هو ابن السلطان ابراهيم و والدته هي صالحة دولاشوب ، ولد سنة 1642م وتوفي سنة 1691م، **للمزيد أنظر**: سامي بن عبد الله أحمد المغلوث، أطلس تاريخ الدولة العثمانية ، ط1، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، 2014 م ، ص 484.

[2]– زين العابدين شمس الدين نجم ، **تاريخ الدولة العثمانية** ، ط1، دار الميسرة ، الأردن، 2010 م ، ص 273.

[3]– عزلتو يوسف بك أصاف، مرجع سابق، ص 94 ،95.

[4]– خليل إينالجيك ، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية** ، مج2 (1600 ـ 1914 م) ، (تر : قاسم عبده قاسم) ، ط1 ، دار المدار الإسلامي ، لبنان ، 2007 ، ص 59.

[5]– عزلتو يوسف بك آصاف، مرجع سابق، ص 95.

[6]– هو ابن السلطان ابراهيم وخديجة معزز ، ولد سنة 1673م وتوفي سنة 1695 م ومدة حكمه من 1691 م إلى 1695 م، لديه ولدين هما: ابراهيم و سليم وثلاث بنات وهن: عانكة وخديجة وأمينة، **للمزيد أنظر**: سامي بن عبد الله أحمد المغلوث، مرجع سابق، ص 486.

[7]– ابراهيم بك حليم، مصدر سابق، ص 151.

وفي زمنه توفي الصدر الأعظم مصطفى كوبريلي الذّي كان عظيم النفع للدولة العثمانية [1] ففي عام 1692 م قامت ثورة في جبل لبنان وامتدت نارها إلى جبل حوران والبصرة ولما تفاقم الوضع، أمر السلطان والي الشام بردع الأهالي ووالي بغداد بالقضاء على متمردي البصرة [2].

وفي عهده أيضا حصلت فتنة في مكة المكرمة بين الأشراف والسادات من أجل من يتولى إمارة مكة، فقام السلطان بعزل الصدر الأعظم وعين مكانه صدرا آخر،[3] ونشب حريق حريق هائل بالأستانة، أحرق السليمانية وعددا من المدن، وفي سنة 1694، بلغ ظلم أمير مكة عنان السماء من سلب ونهب أموال الحجاج و قتلهم، فكلفت الدولة والي الشام بإيجاد الأمن بالحجاز، وأمدته بالمال والرجال، وحصلت منازعات بين الأوجاقيين في السواحل البربرية في جهة المغرب، فأصلحت الدولة ذات بينهم [4].

وقد كان السلطان أحمد الثاني حريصا على مباشرة أمور الدولة بنفسه ، وكان يحضر اجتماعات الديوان حتى وإن كان مريضا، وكانت أيام القتال في عهده قصيرة عبارة عن مناوشات، ولم تطل أيامه حتى توفي سنة 1695 م وتولى بعده الحكم ابن أخيه مصطفى الثاني بن محمد الرابع [5] وكان عمر السلطان مصطفى الثاني[6] آنذاك اثنين وثلاثين عاما

وبعد جلوسه بيومين، كتب جوابا بخط يده شديد اللهجة للباب العالي مضمونه أن أسلافه من مدة اختاروا الراحة ولم ينظروا باهتمام إلى نظام الدولة، وأنه بعدئذ سيتولى بنفسه الإدارة العمومية وسيكون موجودا بميادين الحرب، وفي الحال اهتم بالتجهيزات الحربية، ولم يفرق العطايا المعتادة لخلو الخزينة من النقود، فأظهر الأوجاقيون علامات الثورة ، فوعدهم أن

[1] – علي محمد محمد الصلابي ، مرجع سابق ، ص 309.

[2] – عزلتو يوسف بك أصاف ، مرجع سابق، ص 97.

[3] – ابراهيم بك حليم ، مصدر سابق ، ص 151.

[4] – نفسه ، ص 152.

[5] – سامي عبد الله أحمد المغلوث ، مرجع سابق ، ص 486.

[6] – هو ابن السلطان محمد الرابع، ولد سنة 1644 م، كان متوسط القامة، أشقر اللحية، و كان مهيبا شجاعا، وكان يحب الأدب و الشعر، و كان شاعرا و خطاطا ماهرا، وصل إلى العرش بمساعدة رئيس الخزانة العامرة نافير آغا، و كان له 17 ابنا و بنتا، وهم: محمود الأول، عثمان الثالث، أحمد الصغير، حسين، سليم، محمد، مراد، عثمان، أم كلثوم، عائشة، أمة الله، أمينة، رقية، صفية، زاهرة، عاتكة، فاطمة، زينب **للمزيد أنظر** : نفسه ، ص 488.

ذلك يكون بعد الانتصارات واسترداد الممالك الضائعة وإخراج الأعداء منها، حيث ذلك مفروض على جميع الأمة، وبعد ذلك تكون العطايا والهدايا و الإنعامات [1].

حصل في عهده أن تدخل فيض الله أفندي ومفتي الأنام في الأحكام، واحتكر المناصب العلمية إلى أقربائه لأن في يده كان فصل الأمور وعزل الوزراء وتوليتهم، وفي تلك الأثناء اتحد الجند والعلماء وتجمعوا في آت ميدان وانضم اليهم نحو ستين ألفا، ثمّ أخذوا السنجق الشريف من القصر وبعثوا من قبلهم رسلا إلى السلطان في أدرنة يطلبونه فتعذر منهم وكره الحكم وانعزل في قصره وسلم زمامه لأخيه السلطان أحمد، و بعد مضي خمسة أشهر من اعتزاله عن تدبير السلطنة، توفي سنة 1703 م [2].

جلس السلطان أحمد الثالث [3] على عرش السلطنة وهو يبلغ من العمر اثنين وثلاثين سنة وبعد جلوسه حدث أن هاج أوجاق الانكشارية على شيخ الإسلام وقتلوه ونفوا أولاده ثمّ عمدوا إلى إنفاذ الغايات والمقاصد وعزلوا أعظم رجال الدولة واستبدلوهم بمن أرادوا ولما رسخت قدم السلطان ، اقتص من الجانيين وأعطى المناصب لأصحابها ومستحقيها ثمّ أعلم الدول بجلوسه كما سبقت العادة [4].

في سنة 1704 م ، عصت بعض القبائل في البصرة، فأرسل السلطان فرقة من الجيش لتأديبهم [5] ، كما حصلت سنة 1730 م فتنة عظيمة في الأستانة بسبب ما اتهم به ابراهيم باشا الصدر الأعظم من تأخير في إرسال الجيش، فجمع باترون خليل الأوجاقي عشرين من زملائه ، وقام الإنكشاريون بالثورة مما دعا إلى عقد مجلس من قبل السلطان بالقصر، وإذا بالعصاة يهجمون عليهم ويحاصرونهم طالبين رؤوس الصدر الأعظم وقادته، فسلموهم إليهم

---

[1] – ابراهيم بك حليم، مصدر سابق، ص 153، **للمزيد أنظر:** محمد أمين، **رد المحتار علي الدر المختار شرح تنوير الأبصار**، ج1 ، (دراسة وتح : عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض) ، (تق : محمد بكر اسماعي) ، ط خاصة ، دار عالم الكتب، الرياض، 2005 م ، ص 13، 14.

[2] – عزلتو يوسف بك أصاف، مرجع سابق، ص 99.

[3] – هو ابن السلطان محمد الرابع، ولد سنة 1683 م وتوفي سنة 1730 م، كان طويل القامة، أسود العينين، معقوف الأنف، قمحي اللون وخطاطا و شاعرا يكتب أشعاره باسم نجيب، **للمزيد أنظر:** سامي بن عبد الله أحمد المغلوث، مرجع سابق، ص 492.

[4] – عزلتو يوسف بك أصاف، مرجع سابق، ص 100.

[5] – ابراهيم بك حليم، مصدر سابق، ص 158.

وفي الحال أحضر السلطان ابن أخيه السلطان محمود الأول[1] وأجلسه على العرش واختار هو لنفسه العزلة و الخلوة من السرايا قولا منه كما جاء في كتاب التحفة الحليمية في أخبار الدولة العلية: "**إني لا أحب نزول قطرة من الدم في نظير ما بقي لي من الحياة الدنيا** "[2].

ب ــ استقرار الأوضاع :

استقرت أوضاع الدولة العثمانية في عهد السلطان محمود الأول ،ففي البداية لم يكن له إلاّ الاسم فقط، حيث كان الحكم لباترون خليل، يولي من يشاء ويعزل من يشاء تبعا للأهواء والأغراض ، حتى ذاق السلطان ذرعا من استبداده وتجمهر حوله رؤساء الإنكشارية لتعدي هذا الزعيم على حقوقهم واتفقوا على الغدر به تخلصا من شره فقتلوه وأخمدت ثورة أتباعه وبذلك عادت السكينة للمدينة وأمن الناس على أرواحهم و أموالهم [3].

وجلب السلطان محمود الأول مستشارا أوروبيا فرنسيا وعينه مشرفا على الشؤون العسكرية فأدخلت أنظمة جديدة للخدمة العسكرية على أسس فرنسية ونمساوية بهدف جعل الخدمة العسكرية من جديد مهنة حقيقية ، وذلك بتوفير المرتبات والمعونات واقترح توزيع فرق الإنكشارية [4] إلى وحدات صغيرة يقودها ضابط شاب، غير أنّ الإنكشاريين عارضوا تنفيذ هذه الخطة وأوقفوها ، ممّا أدى بالمستشار الفرنسي إلى التركيز على فرق المدفعية واهتم كذلك بصناعة المدافع والبارود والبنادق والألغام وعربات المدافع ، وافتتح مدرسة للهندسة العسكرية لكن الإنكشاريون رفضوا كل المشروعات ، وعلاوة على ذلك، أنشأ مصنعا للورق، لكن هذه الإصلاحات سرعان ما تلاشت [5].

---

[1] – هو ابن السلطان مصطفى الثاني، ولد سنة 1692 م، كان ضعيف الجسم، قصير القامة، خيرا رفيقا في معاملته للآخرين، و كان يهتم بشكاوي الناس و المظلومين، كما كان يحب الفروسية و السباحة، إضافة إلى الشعر، إذ كان هو نفسه شاعرا، و كان يكرم أهل الأدب، **للمزيد أنظر:** سامي بن عبد الله أحمد المغلوث، مرجع سابق، ص 502.

[2] – ابراهيم بك حليم، مصدر سابق، ص 163 ،164.

[3] – محمد فريد بك المحامي، مصدر سابق، ص 320.

[4] – علي محمد محمد الصلابي، مرجع سابق، ص 312.

[5] – سامي بن عبد الله أحمد المغلوث، مرجع سابق، ص 502.

وخلفا للسلطان محمود الأول، تولى السلطان عثمان الثالث [1] الحكم وعمره 58 سنة ، كان يحب الوحدة والابتعاد عن المشاغل وأمور الدولة، ثمّ سلم الحكم للقرلر أغاسي وأصبح يولي ويعزل من يشاء من الوزراء و أصحاب المناصب ، حتى جره طيشه إلى عزل الصدر الأعظم [2] .

وكان السلطان يخاف أن يعزله الشعب ويولي مكانه أحد أبناء السلطان أحمد الثالث فأمر بقتلهم ، وفي سنة 1755 م حدثت حريقة عظيمة أتلفت عدة بنايات ونحو ثلثي من سكان مدينة استنبول و قسما كبيرا من جامع أبا صوفيا [3] ، عمل السلطان عثمان الثالث على ابقاء كافة المعاهدات و المصالحات ، ثمّ اشتغل بالإصلاحات الداخلية ، حيث قفل كافة الخمارات بالأستانة و محا ما يخالف الشرع من البدع، و نهى عن مشي النساء في الأسواق بالزي المفتوح، واكتشف للرعية أزياء متنوعة الأجناس في الملابس، وحصل نزاع في القدس الشريف وانتهى هذا النزاع بنفي بعض المتسببين فيه [4] توفي عثمان الثالث عن عمر يناهز 61 عاما بعد أن قضى ثلاث سنوات في السلطة وقد دفن إلى جوار السلطان محمود الأول [5].

المطلب الثاني : المشاكل الخارجية

أ ـ حروب الدولة العثمانية في أوروبا :

بعد أن انتصر قرة مصطفى باشا عدة مرات على النمساويين قصد فيينا عاصمة النمسا فحاصرها سنة 1683 م مدة شهرين واستولى على كافة قلاعها الأمامية وهدم أسوارها [6] بالمدافع والألغام ، فأتى ملك بولونيا بجيشه لمحاربة العثمانيين .

---

[1] – ولد سنة 1699 م ، قضى معظم حياته في القصر مما جعل منه شخصا عصبيا مهتر الشخصية مترددا يبغض الموسيقى، بويع في جامع أبي أيوب الأنصاري، و هنأه سفراء أوروبا و حكم ثلاث سنوات فقط ، **للمزيد أنظر:** سامي بن عبد الله أحمد الملغوث ، مرجع سابق، ص 510.

[2] – عزلتو يوسف بك أصاف، مرجع سابق، ص 105.

[3] – نفسه ، ص 106.

[4] – ابراهيم بك حليم ، مصدر سابق ، ص 174.

[5] – سامي بن عبد الله أحمد الملغوث ، مرجع سابق ، ص 510.

[6] – محمد فريد بك ، مصدر سابق ، ص 300 .

وفي يوم 12 سبتمبر 1683 م هاجم ملك بولونيا ومن معه العثمانيين في المرتفعات المتحصنين وانهزم قرة مصطفى باشا وجيشه أمامه تاركا كافة المدافع والذخائر والمؤن ثم سار بجيشه عائدا إلى موطنه ، وخلفه ملك بولونيا يقتل كل من يتخلف عن السير ولما وصل خبر هذا الخذلان الذي لم يسبق للجيوش العثمانية ، أمر السلطان محمد الرابع بقتل الصدر الأعظم مصطفى باشا ، وأرسل أحد رجال حاشيته فقتله وبعث برأسه إلى القسطنطينية و عين مكانه صدرا أخر سنة 1684 م [1].

واستمرت الهزائم في الدولة العثمانية تتوالى فبعد أن فشل الجيش العثماني في حصار فيينا ودَبَّ الضعف داخل الدولة ، انتهزت كل من النمسا وألمانيا والبنادقة الفرصة وقاموا بتجهيز جيش عظيم لمحاصرة بودين [2] ، وفي المقابل جهز الصدر الأعظم الجيش وسار به إلى المجر للدفاع عن المدينة ، إذ شارك في هذه الحرب عدة دول أوربية أهمها : اسبانيا فرنسا ، انجلترا ، وكان الحصار شديدا جدا وإذ سقط أربع كونتات قتلى كما أصيب ميناء لإنشاء السفن ، وأدى انفجار 36000 قنطار من البارود وإلى استشهاد 4000 جندي عثماني .[3]

وحدد هذا مصير مدينة بودين وانتشر خبر حصارها في جميع أنحاء الإمبراطورية وكانت تجرى مراسيم الدعاء في كافة المساجد لأجل المدافعين عن المدينة كما رفعت الأدعية في الكنائس للاستيلاء على بودين ، وهكذا تطور القتال إلى صراع بين الهلال – الصليب وأحرقت العديد من الآثار العثمانية في مقدمتها واحد و ثمانون مسجد ، وتمكن بضع مئات من العثمانيين الهرب وقتل وأسر الكثير منهم وهكذا انتهى الحكم الإسلامي العثماني في المدينة التي فتحها سليمان القانوني بنفسه قبل 160 عاما .

---

[1] – محمد فريد بك ، مصدر سابق ، ص 301 .

[2] – نشأت بصفتها قلعة في القرن 13 و أصبحت مقرا ملكيا في القرن 14 ، تدهورت خلال الحكم العثماني (1541 – 1686) لكنها نهضت من جديد ، أصبحت تسمى حاليا بودابيست ، عاصمة هنغاريا (المجر) ، **للمزيد أنظر** : **الموسوعة العربية الميسرة** ، ط1 ، المكتبة المصرية ، بيروت ، 2010 م ، ص 808 .

[3] – يلماز أوزتونا ، **تاريخ الدولة العثمانية** ، مج1، (تح : محمود سليمان ، مراجعة و تنقيح : محمد الأنصاري) ، ط1 مؤسسة فيصل للتمويل ، تركيا ، 1988 م ، ص548 **للمزيد أنظر** : محمد فريد بك ، مصدر سابق ، ص303.

ارتجت استنبول لخبر سقوط بودين ارتجاجا لم يحدث من قبل ، فحدثت مظاهرات ضد الحكومة وتطاول البعض على السلطان علنا وكتبت المرثيات ولحنت ، كما ضعفت معنويات الجيش العثماني وأخذت القلاع الموجودة في المجر بالاستسلام الواحدة تلو الأخرى

ولم تكن المصيبة الحقيقية محاصرة فيينا الفاشلة قبل ثلاثة أعوام بل كانت سقوط بودين [1] ولم تكتف النمسا بما أخذته من الدولة العثمانية ، واغتنمت الفرصة التي كانت فيها الدولة العلية مرتبكة في داخليتها في عهد السلطان سليمان الثاني ، وزحفت بجنودها على ولايتي البوسنة والهرسك فاستولت عليها ، واقتحمت قلعة بلغراد ، وفي أواخر عام 1687 م حاربت الدولة العثمانية النمسا واستردت ما انتزعته منها [2] .

وقام مصطفى باشا بإعادة الأمن إلى مصر وقبرص ومكث بعض العساكر بها ، ثمّ قوّى حدود الهرسك وملأها بالعساكر لقطع طمع المجر من تلك الجهات ، واستمر على تجديد الأعمال الصالحة حتى اندهشت الدول من سطوته و علو همته [3].

واستمر العداء بين الدولة العثمانية والدول الأوربية حتى في عهد السلطان أحمد الثاني وخصوصا مع ألمانيا والنمسا، إذ حصلت واقعة عظيمة في عهده إذ هجمت الجيوش الأوربية على خيمة السلطان وفيها وقع الصدر الأعظم شهيدا ، كما ترتب عن هذه الواقعة فقدان نصف الجيش من الطرفين ، كما توجه الجيش النمساوي والألماني في عام 1691 م إلى بلاد الصرب لكنها لقيت مقاومة عنيفة من قبل العثمانيين ، وجاء بعض سفراء إيران وهولندا من أجل عقد الصلح لكن السلطان أحمد الثاني رفضه واستمرت الحرب حتى عام 1694 م حين جاء سفراء من انجلترا وهولندا لينصحوا السلطان بالصلح و ترك الحرب بدون استرداد شيء مما استولى عليه الأعداء من بلاد الدولة فلم يقبل السلطان بذلك لأن فرنسا كانت تقوم بتحريضه سرا على استمرار الحرب وتعد بتسليط أعداء ألمانيا عليها وكان ذلك لصالحها لا لصالح الدولة العلية [4].

[1] – يلماز أوزتونا ، مرجع سابق ، ص 548 ، 549 .

[2] – عزلتو يوسف بك أصاف ، مرجع سابق ، ص 90 .

[3] – ابراهيم بك حليم ، مصدر سابق ، ص 149 .

[4] – نفسه ، ص 151 ، 152 .

واستمر حال الحرب حتى عهد السلطان مصطفى الثاني الذي أمر بحشد الجيوش وشحذ السيوف وإعداد معدات الحرب وعند إنجاز ذلك أشهر الحرب على دولة النمسا وجمهورية المجر ، فاسترد من النمسا بلاد الصرب وأغرق مراكب دولة المجر في البحر الأبيض المتوسط [1].

وبعد مخابرة طويلة أمضيت الدولة العثمانية والنمسا وروسيا والبندقية وبلونيا معاهدة كارلوفيتس [2] في 26 جانفي 1699 فتركت الدولة بلاد المجر بأجمعها وإقليم ترانسلفانيا لدولة النمسا وتنازلت عن مدينة أزاق ومنحتها لروسيا ، فصار لها بذلك يد على البحر الأسود وردت لمملكة بولونيا مدينة كامينك وإقليم بودوليا ، وتنازلت للبندقية عن جزيرة مورة واتفقت مع النمسا على مهادنة خمس وعشرين سنة وأن لا تدفع هي أو غيرها شيئا للدولة العلية على سبيل الجزية أو مجرد الهدية وبهذه المعاهدة فقدت الدولة جزءا ليس بقليل من أملاكها بأوروبا [3]، وشكّلت هذه المعاهدة طعنة في جسدها وأول عامل لتقطيع أوصالها وبداية لانسحابها من أوربا كما أنه يسجل الانتقال إلى عصر التفكك والاضمحلال السريع [4].

وفي سنة 1713 م أي السنة التي تقلد فيها السلطان أحمد الثالث الحكم خانت دولة المجر عهودها مع الدولة العثمانية واعتدت على بعض من مدنها ، فساق السلطان لمحاربتها عمارة بحرية دمرت مراكبها واستولت على جزاير مملكتها .

ب ـ حروب الدولة العثمانية مع روسيا والصفويين :

وبعد مرور عشر سنوات من حادثة 1713 م ، زحف أيضا ملك الروس بطرس الأكبر [5] على الدولة العثمانية ، فجهزت هذه الأخيرة جيشا جرارا سلمت قيادته للصدر

---

[1] – عزلتو بك يوسف أصاف ، مرجع سابق ، ص 98 .

[2] – بلدة يوغسلافية واقعة على نهر الدانوب إلى الجنوب الغربي من زغريب **للمزيد أنظر** : محمد فريد بك ، مصدر سابق ، ص 310 .

[3] – نفسه ، ص 310 .

[4] – سامي بن عبد الله أحمد الملغوث ، مرجع سابق ، ص 489 .

[5] – بطرس الأول أو الأكبر (1672 – 1725 م) إمبراطور روسيا و قيصرها ، مؤسس الدولة الروسية الحديثة ، كان أصغر أولاد القيصر ألكسيس من زوجته الثانية ، قضى صباه شبه منفي بإحدى ضواحي موسكو ، و ظهرت موهبته في القيادة في سن مبكر و جعل بطرس هدفه الأكبر امتلاك منفذ بحري و أن تصبح روسيا دولة تجارية كبرى ، **للمزيد أنظر** : الموسوعة العربية الميسرة ، مرجع سابق ، ص 723 ، 724 .

الأعظم والتقى الجيشان ودارت بينهما معركة دامت عدة أيام حتى احمرت الأرض من الدماء ، وأخيرا استطاع الجيش العثماني التغلب على الروس ، وحينئذ طلبت روسيا إبرام الصلح فقبل الصدر الأعظم شرط أن تعيد بعض الأراضي و تهدم القناطر المقامة عليها فقبلت روسيا بهذه الشروط وبموجبها تمت معاهدة صلح وأمضاها الصدر الأعظم ولما أرسلت للسلطان كي يصادق عليها فرفضها وعزل الصدر الأعظم وأقام مكانه أخر، وجدد عهد الصلح مع الروس على مدة خمس وعشرين سنة فعزله السلطان لهذا السبب وعين صدرا أخر ثمّ عزله أيضا ، ونصب أخر فصادق على معاهدة الصلح لمدة خمس وعشرين سنة [1] .

وفي عام 1725 م غزت الدولة العثمانية بلاد مورا مع سائر جزرها فتأثرت النمسا من ذلك واتحدت مع جمهورية المجر ونقضت المعاهدة المبرمة كارلوفيتس وأعلنتا الحرب على الدولة وبعد طول القتال انهزم الجيش العثماني وقتل الصدر الأعظم وتدخلت دولة الإنجليز لعقد الصلح ، فبعد طول المخابرات تقرر أن تترك الدولة العثمانية بعض الجزر اليونانية وأن تعطي للنمسا البعض من بلاد الصرب وعلى هذه الشروط حصلت معاهدة الصلح سنة 1718 م [2].

أمّا في سنة 1732 م اهتم بطرس الكبير بتفريق فرنسا عن مسالمتها مع الدولة العلية وذهب بنفسه إلى باريس ، فشعرت الدولة العلية بالخطورة ، فأرسلت سفيرها إلى باريس لتقوية وثائق العلاقات ، فقابلته فرنسا بالتبجيل والتعظيم غير أنه لم يحصد شيئا وذلك لغموض سياسة فرنسا وقتئذ ، فكانت تريد أن تقهر روسيا وتسترجع ما أخذته منها ، لذلك طلبت من سفير الدولة العثمانية المساعدة من أجل محاربتها ، ولمّا كان بطرس الكبير حليفا لإمبراطور ألمانيا والنمسا ودولة المجر لم يقبل السفير المذكور طلبات والحاحات فرنسا وبذلك [3] استمرت الحروب والنزاعات حتى عهد السلطان محمود الأول الذي أرسل بجيشه لقتال الصفويين فتغلب على طهامسب [4] الذي طلب الصلح عام 1731 م وتخلى للعثمانيين

[1] – عزلتو يوسف بك أصاف ، مرجع سابق ، ص 101 .

[2] – نفسه ، ص 102 .

[3] – ابراهيم بك حليم ، مصدر سابق ، ص 161 .

عن تبريز وهمدان ، غير أن والي الشاه علي خرسان لم يقبل بالمعاهدة ، فسار إلى أصفهان وعزل الشاه طهامسب ، وسار لمحاربة العثمانيين فانتصر عليهم ، وحاصر بغداد وطلبت الدولة الصلح ، وجرى الاتفاق عام 1736 م ، واتفقوا على أن يرد العثمانيون كل ما أخذوه من الفرس [1].

وحدث أيضا أن توغلت عساكر الروس في بعض بلاد الدولة واتحدوا مع عساكر النمسا فاستولوا على جزيرة القرم ، ثمّ انفردت النمسا و سارت إلى بلاد الصرب واستولت على عدة مناطق ، و لمّا علم السلطان بذلك سار بجيشه و فرق شمل عساكر النمسا واسرد كل ما أخذ منه ، ثمّ تحول لقتال الروس فهزمهم . حينئذ تدخلت فرنسا بأمر الصلح مع روسيا والنمسا والدولة العثمانية بشرط أن تترك النمسا بلاد الصرب ، وأن تهدم روسيا ما أقامته من استحكامات على سواحل بحر الأزاق وعلى ذلك تمت المعاهدة سنة 1739 [2].

[4] – شاه فارس ، خلف أباه اسماعيل الصفوي ، شن حربا موفقة ضد قبائل الأوزبك و ردعهم ، **للمزيد أنظر** : الموسوعة العربية ميسرة ، مرجع سابق ، ص 2153 .

[1] – اسماعيل أحمد ياغي ، مرجع سابق ، ص 120 .

[2] – عزلتو يوسف بك أصاف ، مرجع سابق ، ص 104 .

خاتمة :

مما تقدم يمكن القول أنّ المغرب الأقصى عرف ازدهارا و تطورا في ظل حكم السلطان اسماعيل ، لكن هذا لم يدم طويلا بسبب الثورات التي انتشرت عقب وفاته ، غير أنّ الدولة العثمانية ظلّت تعيش طيلة هذه الفترة نوعا من الركود السياسي .

تمهيد :

استطاع المغرب خلال فترة (1679 – 1757 م) أن يكمل توحيده الداخلي

وتأسيس الدولة العلوية الحديثة و تمكن من تحرير الأراضي المحتلة من الإسبان والإنجليز و البرتغال ، و سعى إلى توحيد نفوذه إلى ما وراء الحدود الشرقية و الجنوبية أين سيصطدم بالجزائر التي ستكون طرفا في توتر العلاقات بين المغرب والدولة العثمانية فكيف تميزت العلاقات بينهما في هذه المرحلة ؟

المبحث الأول : الصراع على الحدود المغربية الجزائرية .

المطلب الأول : أسباب توتر العلاقات .

أ – أحقية الخلافة :

شهدت العلاقات المغربية – العثمانية توترا في العهد العلوي و خاصة في العهد الإسماعيلي فمن منظور السلطان اسماعيل أنّ المغرب أحق بخلافة المسلمين و يتجلى ذلك برغبته في إحياء مشروع الإمبراطورية الموحدية و ضم المغرب الإسلامي إلى المغرب الأقصى [1]، و هذا لا يتأتى إلاّ بإبعاد النفوذ العثماني من الجزائر علاوة على هذا رفضه الاعتراف بالسيادة العثمانية على العالم الإسلامي .

وممّا زاد غضب السلطان اسماعيل من الدولة العثمانية هو عدم اعترافها به كسلطان بل اكتفت بمنحه لقب حاكم فاس في حين أنه كان يرى نفسه سلطانا و خليفة للمسلمين وهذا وفقا للبيعة التي أعطيت له من قبل المسلمين في المغرب الأقصى [2].

وما يُميز طبيعة العلاقات المغربية – العثمانية عن غيرها مثل علاقات المغرب مع الدول الأوربية ، هو انتماؤها إلى نفس المنظومة الدينية ، لكن الفرق هو أن العثمانيين بفضل ما توفر لهم من موارد و إمكانات دخلوا عالم الإمبراطوريات بخلاف المغرب الذي ظل حبيس مشاكله الداخلية [3].

ب – التدخل المغربي في شؤون الجزائر:

ادّعى السلطان اسماعيل و اتهم دايات الجزائر باستقبالهم و مساندتهم للمتمردين و الثوار مثل أخيه الحران الذي كان في سجلماسة (تافيلالت) و حفيده أحمد بن محرز الذّي كان

---

[1] – شوقي عطا الله الجمل ، مرجع سابق ، ص 219 .

[2] – محمود شاكر ، مرجع سابق ، ص 531 .

[3] – خاليد فؤاد طحطح ، مرجع سابق ، ص 108 .

في بلاد السوس ضده و رأى في هذا التصرف إعلانا للحرب بين الطرفين و تدخل في الشؤون المغربية الداخلية [1].

وعلى إثر هذا قام السلطان اسماعيل بتجهيز جيشه سنة 1676 م و اتجه نحو الجزائر ووصل حتى المناطق الصحراوية ، ثم قام بمهاجمة المراكز الحضرية و ذلك من أجل استنفار القبائل العربية إلى جانبه و تجميع قوى اجتماعية جزائرية مضادة للحكم العثماني ليعزز بها قواته النظامية (جيش عبيد البخاري)، و بالفعل قدمت عليه وفود العرب من قبائل مختلفة (منيع ، دخيسة ، حميان ، المهاية ، العمور، أولاد جرير ، سقونة ، بني عامر الحشم ، قرب نهر شلف بناحية القويعة) [2].

إلاّ أنّ هجومه هذا باء بالفشل بسبب قوة الجيش الجزائري و تطور سلاحه المدفعي مقارنة بالسلاح المغربي ، و هكذا وقعت الهزيمة بقوات السلطان اسماعيل و من معه من قبائل المنطقة [3].

لم تقف الاعتداءات عند السلطان اسماعيل على الأراضي الجزائرية بل تجاوزت هجومات أبنائه ، فبعدما قسم هذا الأخير أقاليم البلاد على أولاده انتشرت الثورات في كل مكان من المغرب الأقصى ، و أضحوا يتصارعون فيما بينهم ، كل واحد يطمح إلى توسيع حدود إقليمه على حساب الأخر فبعد التقسيم اعتدى حاكم فاس آنذاك على الجزائر و سار حتى توغل في دواخل الأراضي الجزائرية [4].

لكنه اضطر للانسحاب بسبب اقتتال حدث بين أولاده ، و رغم ذلك فإن الجزائريين لم يقوموا بأي هجوم ضد فاس و استغلال الفوضى و الاضطراب الذي تشهده [5]، و يبدوا أن مسألة إيواء أتراك الجزائر للثائرين على السلطان اسماعيل ماهي إلاّ حجة أو ذريعة للتوغل والتوسع على حساب الأراضي الجزائرية ، و كذلك زعما منه في إبعاد خطر العثمانيين عن المغرب الذين مازالوا يطمحون في ضم المغرب أو على الأقل إلحاقه إلى السيادة العثمانية بالتبعية الاسمية .

---

[1] – محمد علي داهش ، مرجع سابق ، ص 165 .

[2] – محمد الضعيف الرباطي ، مصدر سابق ، ص 65 .

[3] – محمود علي عامر ، مرجع سابق ، ص 94 .

[4] – عزيز سامح ألتر ، مرجع سابق ، ص 444 .

[5] – محمد علي داهش ، مرجع سابق ، ص 165 .

لكن في المقابل اعتبرت الدولة العثمانية هذا الفعل بمثابة تدخل في شؤون إيالتها و اعتداء على أراضيها و تنكر لمعاهدة التافنا 1654 م التي أقرت بالحدود بين البلدين [1].

المطلب الثاني : الهجومات المغربية على الجزائر قبل 1700 م .

أ – هجوم 1679 م :

جهز السلطان اسماعيل جيشه و شحن حاميته من عرب الشبانات [2] و رزارة الذين نقلهم من منطقة الحوز لمهاجمة الجزائر و التخلص من كابوس الوجود العثماني في تلك المناطق الحدودية بين مملكته و بين الجزائر ، و خاصة بعد لجوء هؤلاء الثائرين إلى الجزائر ومكوثهم بها لفترة هربا من السلطان اسماعيل [3].

قاد الجيش بنفسه و أسند مسؤولية التصدي للثائرين لقائد جيشه البقاء العياشي بن الزويعر الزراري ، فاجتاز الحدود مدعيا بأن قبيلة بني عامر الموالية للعثمانيين تعدت على حدود فاس و أتى لتأديبها و كان قد اتصل بالعلماء و كسبهم لصفه ، و عندما هاجم تلك القبيلة عاد مباشرة إلى مكناس [4] و يظهر من خلال هذا أن هجوم السلطان المغربي سنة 1679 م كان أول اصطدام بين الطرفين منذ مجيئه إلى الحكم .

ب – الهجوم على تلمسان :

بعدما استطاع جيش السلطان اسماعيل التوغُل في الأراضي الجزائرية بحجة تأديب القبائل التي كانت تعرض خدماتها تارة على الجزائر و تارة على المخزن المغربي وصل به الأمر إلى الزحف على تلمسان ، ففي سنة 1680م شن السلطان المغربي حملة واسعة النطاق على قبائل بني يزناسن التي كان دأبها التنافر و التناحر ، و قام بإحضار شيوخها وألزمهم بدفع التكاليف المخزنية [5].

---

[1] – شوقي الجمل ، مرجع سابق ، ص 220 .

[2] – يقصد بالشبانات بذلك الخليط بين عرب المعقل و بربر هوارة ، توجد في شمال إفريقيا ، تعرض لبربريتهم محمد بن الشريف في مراسلته مع زيدان السعدي ، و هم الآن ضمن أولاد حرار بإقليم سوس ، **للمزيد أنظر** : عبد الكريم الفيلالي مرجع سابق ، ص 99 .

[3] – اسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي ، مرجع سابق ، ص 87 .

[4] – Abu Al – kàsim b. ahmed Zayani , Op, cit, p 32.

[5] – اسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي ، مرجع سابق ، ص 88.

وفي سنة 1682 م اجتاح الثائر ابن محرز منطقة بني يزناسن فلحق به الجيش المغربي وهاجمه حتى وصل إلى تلمسان بقيادة السلطان اسماعيل فاستولى على أموالهم ، و لمَّا بلغ الخبر داي الجزائر خرج الجيش الجزائري لصدّه و التقى الطرفان قرب تلمسان و احتّدم الصراع بينهما حتى تمكن الجيش الجزائري من الاستيلاء على منطقة بني يزناسن و على دار ابن مشعل و كان ابن محرز هناك فأمروه بالبقاء تحت حمايتهم [1].

قتل خلال هذا الصدام حوالي 700 جندي من الطرف الجزائري والمغربي ، و استغرقت تحركات السلطان اسماعيل في الأراضي الجزائرية مدة سنة حتى دخل عام 1683 م حين عمد الطرفان إلى إبرام الصلح بسبب دخول شهر رمضان فوقّعواعلى معاهدة الصلح وكانت الأولى بين السلطان اسماعيل و ابن محرز ، أما الثانية فكانت بينه و بين الجزائر [2].

وبعد أن استتّبَ الأمن للسلطان اسماعيل و هدأت الأوضاع بعد أن قضى على حركة ابن محرز و حركة الحران و قتله سنة 1689 م و حرر جميع أراضيه المحتلة وجد الفرصة مناسبة للهجوم على تلمسان ، فتحالف مع تونس التي كانت ناقمة على السلطة العثمانية في الجزائر واتفقا على مهاجمتها ، و لمَّا علم الداي شعبان بما كان ينويه الطرفان خرج باتجاه الفاسيين لكن السلطان اسماعيل ادّعى بأنّه جاء ليؤدب قبيلة غويا فزاز و تحرك بجيشه من مكناس إلى تلمسان و هو يحمل كمية من الذخيرة مع عدد من المدافع العادية [3] .

لم يصمد الجيش المغربي أمام قوة الجيش الجزائري الذي كان يتألف من عشرة ألاف جندي و ثلاثة ألاف خيال ، و انهزم بعد فقدانه خمسة ألاف جندي ، و استمر الجيش الجزائري في ردع و مطاردة الجيش الفاسي حتى انسحب و عاد الجيش الجزائري محملا بالغنائم وأثناء عودته ، عاقب كافة تلك القبائل التي انضمت للسلطان المغربي و كان ذلك سنة 1693 م ، و في ظل هزيمة الجيش المغربي أرسل السلطان اسماعيل هيئة تتألف من ابنه عبد الملك و المرابطي طيب بن محمد الفاسي لتوقيع معاهدة الصلح بين الطرفين فرحب الجزائريون بذلك و قبلوا الصلح معه [4].

---

[1] – ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، مرجع سابق ، ص 53 .

[2] – ابن زيدان ، المنزع اللطيف ، مصدر سابق ، ص 164 .

[3] – عزيز سامح ألتر ، مرجع سابق ، ص 440 .

[4] – الزياني ، البستان الظريف ، مصدر سابق ، ص 162 .

رغم إبرام الصلح بين البلدين إلاّ أنّ السلطان اسماعيل لم يتوقف عن اعتداءاته على الجزائر ففي 1694 م بعث ابنه زيدان على رأس الجيش للهجوم على تلمسان ، لكنّه هاجم بعض القبائل ثم رجع ، و خلال هذه الأحداث وصلت تهديدات من الباب العالي تحذر السلطان المغربي من استمرار عملياته الهجومية [1].

ج – الهجوم على وهران :

كانت وهران خاضعة للاحتلال الإسباني منذ 1509 م ، و في عهد الباي شعبان الزناقي (1679 – 1686 م) باي بايلك الغرب في الجزائر حاول تحرير وهران لكنه قتل[2] وبحكم مجاورة بايلك الغرب للمغرب الأقصى و كذلك الصراع الذي كان بين سلاطين المغرب الأقصى و الجزائر فإن قبائل الغرب الجزائري التي تقع على الحدود بين الجزائر والمغرب تأثرت بهذه العلاقة.

إذ كانت كثيرا ما تلجأ إلى المغرب الأقصى و تتحالف معهم ضد السلطة العثمانية في الجزائر ، وهذا بتحريض من سلاطين المغرب الذين كانوا يرفضون التواجد العثماني في الجزائر الذي كان يهدد وجودهم في الجزائر من جهة و خوفهم من وصوله إلى المغرب الأقصى من جهة أخرى [3].

في هذا الإطار و من المنطلق الديني للسلطان اسماعيل جاءت محاولاته الساعية لتحرير وهران من الوجود الاسباني ، بعدما انتهى من مشروع تحرير أراضيه المحتلة فكانت آخرها مدينة أصيلا سنة 1691 م ، فتوجه إلى وهران سنة 1692 م و كان قد جهز حملة عسكرية تتألف من عشرة ألاف مقاتل من المشاة و ثلاثة ألاف فارس للاستيلاء عليها [4] وتحريرها أولاً قبل الدولة العثمانية التي لم تتمكن من ذلك في نظره.

---

[1] – أبو عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي ، **الجيش العرمرم الخماسي في دولة مولانا علي السجلماسي** ، ج1 ، (تق وتح و تع : أحمد بن يوسف الكنسوسي)، المطبعة و الرزاقة الوطنية ، مراكش ، المغرب ، 1994 م ، ص 143 .

[2] – أحمد توفيق المدني ، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا (1492 – 1792 م)** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1984 م ، ص 433 .

[3] – محمد علي داهش ، مرجع سابق ، ص 165 .

[4] – أبو القاسم الزياني ، **الروضة السليمانية في ذكر ملوك الدولة الإسماعيلية و من تقدمها من الدول الإسلامية** مؤسسة عبد العزيز ، الدار البيضاء ، المغرب ، ص 82 .

لكنّه فشل في ذلك بسبب قوة الحامية الإسبانية ، و على إثر هذا التدخل حدثت فوضى في وهران حيث قام الحاكم الإسباني بأسر واعتقال مائة و خمسون شخصا من أهالي المنطقة الغربية للجزائر ، وعاقب أيضا دواوير أخرى لمقتل العديد من الإسبان بسبب هجوم السلطان المغربي ، وأجبر هؤلاء القبائل على دفع الضرائب ، و يعود سبب تصرف حاكم إسبانيا هذا في وهران إلى اتهامه لداي الجزائر بنقض الاتفاق الذي كان بينهما فيما سبق بشأن معاهدة السلم مع الإسبان في وهران و المرسى الكبير [1].

المطلب الثالث : الاعتداءات المغربية على الجزائر بعد 1700 م .

أ – اعتداء 1701 م :

تواصلت العمليات الهجومية الإسماعيلية على الأراضي الجزائرية بعد سنة 1700 م [2] فبعد أن استقرت الأوضاع الداخلية للمغرب كانت نوايا السلطان المغربي الخفية التوسع على حساب النفوذ العثماني في الجزائر أمَّا نواياه الظاهرة فتمثلت في تأكيده للحدود بين الطرفين فحين قسم السلطان اسماعيل الحكم على أولاده سنة 1699م منح لابنه زيدان مدينة تازة وعينه والياً عليها ، فاستغل هذا الأخير الفرصة وتوغل في الأراضي الجزائرية وذلك بدعم من أبيه ، وقام بنهب وسلب مدينة بسكرة الجزائرية ، إلا أنه تراجع عن الهجوم وعقد الصلح مع الجزائر [3].

ولمّا سمع والده بذلك غضب من تصرف ابنه و عدم استثماره لانتصاره و قام بعزله من ولايته وتهيأ للخروج بنفسه سنة 1700 م ووصل إلى أفرة وذلك بعدما اتفق مع باي تونس مراد بك الذي هجم على الجزائر من الجهة الشرقية (قسنطينة) مدة ستة أشهر ، ثمّ التحق بالجيش الإسماعيلي [4].

[1] – أحمد توفيق المدني ، مرجع سابق ، ص 456 .

[2] – شوقي عطا الله الجمل ، مرجع سابق ، ص 220 .

[3] – الزياني ، الروضة السليمانية ، مصدر سابق ، ص 84 .

[4] – ابن المفتي حسين بن رجب شاوش ، مصدر سابق ، ص 70 .

علم داي الجزائر مصطفى بالاتفاق فجهز قواته و اتجه إليهما و تمكن من الانتصار على التونسيين في صحراء عبد النور الواقعة بين سطيف و قسنطينة بتاريخ 3 جوان 1700م[1].
ثمّ التقى الطرفان مجددا في منطقة (بوغاز إكشي) أي مضيق الحامض في وادي الجدوية قرب مازونة و كانت آنذاك تقدر قوة الجيش الإسماعيلي إضافة إلى الجيش التونسي حوالي خمسين ألف جندي ، وبدأت المعركة في 28 أفريل 1701 م هُزم من خلالها الجيش الإسماعيلي ومعه الجيش التونسي وعاد الجيش الجزائري إلى المدينة وهو يحمل ثلاثمائة رأس عسكري وخمسين قائدا منتصرا في هذه المعركة [2].

ب – اعتداء 1702 م :

رغم التهديدات المتواصلة التي كانت تصل السلطان اسماعيل من قبل البابا العالي بشأن مناوشاته مع جيرانه الجزائريين إلاّ أنّه لم يكترث لذلك فواصل في عملياته الهجومية ويظهر ذلك في محاولة ابنه زيدان الأخيرة سنة 1702 م، لمّا زحف على تلمسان ودخلها وأحدث فيها فوضى عارمة ، حتى وصل به الأمر إلى نهب دار باي عثمان فاستولى على ما فيها ، وعلى إثر هذا مباشرة قام السلطان اسماعيل بعزل ابنه مرة أخرى وعين مكانه أخاه حفيظ [3].

ومن خلال هذا يتضح أن ردة فعل السلطان اسماعيل إزاء هذا ربما ترجع لعدة أسباب منها عدم كفاءة ابنه زيدان في تحقيق أطماع المغرب في التوسع على حساب الأراضي الجزائرية فمعظم هجوماته لم تصل إلى طموحات السلطان اسماعيل أو بسبب تهديد وضغط السلطان العثماني على المغرب لكفها عن تلك الاعتداءات أو قوة الجيش الجزائري وانتقامه من المغرب.

وبعد هذا الاعتداء لم تسجل لنا المصادر أي اعتداءات أخرى طيلة فترة حكم السلطان اسماعيل ، لكن بعد وفاته سنة 1757 م ساءت البلاد ودخلت في حالة من الاضطرابات بسبب الصراع بين أبنائه وأحفاده على السلطة إلى جانب تدخلات المؤسسة العسكرية التي أنشأها (جيش عبيد البخاري) في الشؤون السياسية ، وفي ظل هذه الظروف لجأ بعض

---

[1] – DeGrammont , **Histoire D'Alger sous la domination turque (1515 – 1830)** , Paris, 1887– P270 .

[2] – ibid , P271 .

[3] – أبو عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي ، مصدر سابق ، ص 145 .

المتنازعين على السلطة إلى الجزائر فاستغلت السلطة العثمانية في الجزائر الفرصة وساهمت في مساندة تلك الانقلابات بهدف إبعاد وإشغال المغرب الأقصى عن فكرته في التوسع على حساب الأراضي الجزائرية [1].

[1] – محمد العربي الشاوش ، مرجع سابق ، ص 05 .

المبحث الثاني : موقف الدولة العثمانية

المطلب الأول : رد فعل الجزائر

أ – ردع الهجومات :

لم تنتظر الجزائر تدخل الباب العالي إزاء ما يحدث على حدودها مع المغرب ، بل سارعت بنفسها إلى الدفاع وردع الهجومات الموجهة ضد أراضيها ، ويعود السبب في موقف الجزائر هذا إلى توتر العلاقات بينها و بين الباب العالي ، و هذا بعد الفوضى التي شهدتها الجزائر في ظل حكم الأغوات قبل 1671 م ، لكن سرعان ما تغير الحكم وأصبح بيد الدايات الذين ينتخبون من طرف الديوان وبالتالي أصبحت الجزائر شبه مستقلة تدير شؤونها الداخلية و الخارجية بنفسها، لكنها بقيت ضمن التبعية الاسمية للباب العالي فقط [1].

بعدما توغل السلطان اسماعيل بجيوشه إلى الأراضي الجزائرية ووصل حتى واد شلف سنة 1679 م وهاجم من كان بها ، قام داي الجزائر بتجهيز الجيش ورد الهجوم بالمدفعية الثقيلة ، فانسحبت تلك القبائل التي كانت تقف في صف السلطان اسماعيل ، و بذلك انهزم أمام القوات الجزائرية في أول صدام له ، و لم يسعه إلاّ أن يقبل عرض الصلح كما طلبوا منه الكف عن التعرض لبلادهم و التوقف عند الحدود التي أقرها أسلافه من السعديين والعلويين [2].

لكنّ الهجومات المغربية لم تتوقف عند الحدود الشرقية للمغرب بل استمرت بعد ذلك وبمقابل هذا استغل الطرف الجزائري انشغال السلطان اسماعيل بالاضطرابات التي أثارها إخوته الثلاثة وابن أخيه أحمد بن محرز وهاجموا الأراضي الشرقية للمغرب واستولوا على بلاد بني يزناسن سنة 1682 م [3].

---

[1] – عبد المنعم الجميعي ، مرجع سابق ، ص 24 .

[2] – الزياني ، البستان الظريف ، مصدر سابق ، ص 162 .

[3] – شوقي عطا الله الجمل ، مرجع سابق ، ص 219 .

لكنهم لم يتمكنوا من الاستمرار في هجومهم لأنّ الجزائر تعرضت لهجوم من قبل الأسطول الفرنسي وذلك خلال حملة دوكين و التي حاول فيها حصار الجزائر بحرا لمدة ثلاثة أشهر ولم يتم الصلح بين الطرفين إلا في 1683 م [1] إلاّ أنّ ابراهيم خوجة باشا الجزائر قام بالغارة على سواحل فرنسا سنة 1685 م فرد عليه الأسطول الفرنسي بغارة مضادة انتهت بعقد الصلح بين الدولتين لمدة مائة عام [2].

في هذه الأثناء حاول باي تونس استغلال الأوضاع المضطربة للجزائر و التي كان يواجهها الداي ، وعمل على الهجوم على الحدود الشرقية للجزائر ، فوجه الداي حملة ضده واستولى على تونس بعد حصار طويل ، و نصب عليها محمد باي [3].

هكذا توقفت هجومات الجزائر على المغرب ، كما توقفت الهجومات المضادة حتى دخلت سنة 1692 م ، وذلك بسبب مواجهة السلطان المغربي لثورة الأطلس المتوسط وتحرير مدنه المحتلة [4].

ب – تحرير وهران :

عندما شنّ السلطان اسماعيل حملة عسكرية على وهران سنة 1692 م اعترضته الحامية الجزائرية و باغتته القوات بمدفعيتها المتطورة بوادي ملوية ، فتراجع بقواته بعد خسائر جسيمة في الأفراد ، وعلى إثر ذلك تمّ إبرام معاهدة وجدة بين المغرب والجزائر حيث أبقت مناطق النفوذ على حالها بين الطرفين [5] ، بعد أن أوفد السلطان المغربي ابنه زيدان لإبرام الصلح ، وهكذا تأرجحت العلاقات بين الجانبين بين الاعتداءات و المناورات وبين تبادل السفارات لإجراء المفاوضات و تقديم المجاملات [6].

وعلى إثر ذلك حدثت فوضى واضطرابات في وهران عقب الهجومات المغربية عليها التي أحدثها حاكم إسبانيا في وهران ، عندئذٍ اعتبرت الجزائر العملية الإسبانية هذه بمثابة إعلان للحرب فأرسل الداي محمد بكداش جيشا مؤلفا من ثمانية ألاف و خمسمائة رجل

---

[1] - Alphonse Rousseau **, Régence d'Alger** , traduites d'un manuscrit arabe El – Zohrat – El – nayerat , par Alphonse Rousseua , imprimerie du gouvernement Alger , 1841 , P 140 .

[2] – ibid, p 147 .

[3] – deGrammont , op cit , p 254 .

[4] – ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، مرجع سابق ، ص 53 .

[5] – محمد علي داهش ، مرجع سابق ، ص 166 .

[6] – اسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي ، مرجع سابق ، ص 89 .

بقيادة الباي مصطفى بوشلاغم (1707– 1732 م) في سبتمبر سنة 1707 م ودخلوا وهران وبدأوا في التضييق عليها فكانت القيادة العليا لأوزون حسن أمّا إدارة العمليات للباي مصطفى بوشلاغم [1].

دامت المعركة بين الجزائر وإسبانيا من 8 سبتمبر حتى 11 نوفمبر من نفس السنة كان أول هجوم فيها من طرف الجزائريين على حصن برج العيون ثم قصدوا بعد ذلك برج مرجاج الكبير الذي كان من أضخم الحصون بحيث يدعوه الإسبان الصليب المقدس (سانتاكروز) وفي 25 سبتمبر أعلن الإسبان تسليم الحصن ، أمّا عن النصر الثالث فتمثل في الاستيلاء على برج بن زهور في 14 نوفمبر ثم على البرج الجديد و البرج الأحمر فكان بمثابة النصر الخامس للجزائريين سلَم على إثرها حاكم وهران العام الدون ملشوردى افيلانيدا المدينة ونجى بنفسه تاركا المرسى الكبير متوجهاً إلى إسبانيا [2].

وبذلك تمّ فتح وهران و في 16 أفريل 1708 م تمكن الباي من تحرير المرسى الكبير ويعود الفضل في استرجاع وهران إلى الداي محمد بكداش الذي تولى حكم الجزائر سنة 1706 م وطرد الإسبان منها و من المرسى الكبير تحريرها بمساعدة صهره حسن أوزون [3].

من خلال هذا يتّضح أنَ حملة السلطان اسماعيل على وهران قد عجَلت في تحرير وهران وكانت حافزا لداي الجزائر لإعلان الحرب على إسبانيا فرغم فشل السلطان المغربي في ذلك إلا أنّ السلطة العثمانية في الجزائر تمكنت من تحقيق النصر في ظرف سنة واحدة .

---

[1] – DeGrammont , op cit , p 273

[2] – أحمد توفيق المدني ، مرجع سابق ، ص 461 .

[3] – نفسه ، ص 463 .

المطلب الثاني : رد فعل الباب العالي

أ – تهديدات الباب العالي :

أثناء هجومات السلطان اسماعيل على الجزائر كانت الدولة العثمانية تشهد اضطرابات وصراعات داخلية و خارجية ، إذ تجددت الحرب بينها و بين النمسا سنة 1682 م ، ومن أسبابها عداء فرنسا للنمسا ، وبالتالي ستكون الفرصة مواتية لتتحالف الدولة العثمانية مع فرنسا ضد النمسا [1] ، ورغم وقوع هذا التحالف إلاّ أنّ الدولة العثمانية فشلت في هذه الحروب وركنت إلى توقيع معاهدة كارلوفيتس 1699 م تنازلت بموجبها عن كامل بلاد المجر وتراسلفانيا للنمسا وعن كامل بودوليا و أوكرانيا لبولندة [2].

وممّا زاد من تأزم الوضع في الدولة العثمانية هو حروبها مع البندقية ومحاولتها في استرجاع الأراضي في المورة ، فهزمت مجددا أمام النمسا وتنازلت عن بلغراد سنة 1718 م وعن كامل منطقتها إلى مصب نهر الدانوب لصالح النمسا، وتعرض العثمانيون إلى المزيد من الهزائم حين فقدت معظم أراضيها في أوروبا إذ كانت من قبل هي التي تهاجم لتتوسع [3].

وأمام تسارع هذه الأحداث والأوضاع المتدهورة كان الباب العالي يجهل ما كان يجري في إيالاته وخاصة الجزائر ، لكن بالرغم من ذلك كانت تصله الأخبار عن تحرشات ومناوشات السلطان اسماعيل على أراضيه في الجزائر ، فكان يستخدم السلطان العثماني في بادئ الأمر أسلوب التهديد ويظهر ذلك في تلك المراسلات التي يرسلها إلى السلطان المغربي [4].

ففي 1701 م ورد على السلطان اسماعيل رسالة تحمل في ثناياها خطابا يتضمن أسلوب الأمر والتهديد وكان من قبل السلطان مصطفى الثاني يأمر فيها المغرب بالصلح مع الجزائر وعدم تجاوز الحدود المقررة على الطرفين [5] .

---

[1] – القادري ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 311 .

[2] - محمد سهيل طقوش ، **التاريخ الإسلامي الوجيز** ، ط5 ، دار النفائس ، بيروت ، 2011 م ، ص 378 .

[3] – نفسه ، ص 379 .

[4] – الزياني ، الروضة السليمانية ، مصدر سابق ، ص 84 .

[5] – أبو عبد الله محمد بن احمد الكنسوسي ، مصدر سابق ، ص 143 .

وفور ذلك قام السلطان اسماعيل بتوبيخ ابنه زيدان لما أغار على أهالي تلمسان واستولى على قلعة معسكر [1].

ومن خلال هذا يتّضح أنّ الباب العالي رغم انشغاله بأموره الداخلية إلاّ أنّه لم يغفل عما كان يحدث على الحدود المغربية الجزائرية فكان دائما يراقب تحركات المغرب و رغبته في التوسع على حساب أراضيه في الجزائر ، وفي المقابل كان السلطان المغربي حذراً كل الحذر من ردة فعل الباب العالي إزاء هجوماته المتكررة [2] ، ولعل التهديدات والإنذارات التي كانت تصله باستمرار كانت سببا في تراجعه عمَا كان يطمح إليه.

ب – الضغط على المغرب :

من الوسائل التي اتبعتها الدولة العثمانية لإبعاد أي محاولة توسعية مغربية على حساب أراضيها في الجزائر هو مسألة تحويل أنظار السلاطين العلويين إلى تحرير المدن المغربية مثل طنجة التي كانت بيد الإنجليز منذ 1662 م ، و استخدمها كورقة ضغط على المغرب فظلت الدولة العثمانية تردد باستمرار ما خاطبت به السلطان محمد بن الشريف في 1654 م من خلال معاهدة التافنا : " ... **فإن كان غرضك في الجهاد فرابط على الكفار الذين هم معك في وسط البلاد ، و إن كان غرضك في الاستيلاء على دولة آل عثمان ، فابرز إليها و استعن بالرحيم الرحمان ، فلا يكن عليك في ذلك ملام** ... " [3] .

ومن الوثائق التي تؤكد هذا هي الرسالة [4] التي وجهها أحد رجال المخزن الاسماعيلي المرموقين محمد بن حدو أعطار الذي بعثه السلطان اسماعيل كسفير إلى لندن (1681 – 1682 م) لدى ملك انجلترا ، ومكث هناك أكثر من سبعة أشهر لإعداد اتفاقية بين المغرب وإنجلترا ، ومن خلالها يبين ضغوط الطرف العثماني على السلطان اسماعيل ويحثه على

[1] – اسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي ، مرجع سابق ، ص 89 .

[2] – الزياني ، البستان الظريف ، مصدر سابق ، ص 181 .

[3] – الناصري ، مصدر سابق ، ص 26 .

[4] – أنظر الملحق رقم04 .

جهاد النصارى ويعده بالمساعدة العسكرية إن احتاج ذلك ، بل وذهب أبعد من ذلك فأصبح يمنيه بوصاية سياسية على الجزائر [1] .

و من خلال هذا المقطع من الرسالة يمكن استخلاص النقاط التالية :

– تمثل سنة 1683 م منعطفاً في تاريخ العلاقات المغربية ـ العثمانية إذ شهدت تحولا جذريا في موقف كل طرف ، فبعد سنوات من الصراع والمواجهة اقتنع الطرف المغربي بأنَه يستحيل تحقيق أيَ مكاسب ترابية على حساب الأراضي الجزائرية ، كمّا اقتنعت الدولة العثمانية بعدم قدرتها على ضم المغرب [2] .

– اقتناع الطرفين بضرورة جمع الجهود ضد الخطر المسيحي و ترك النزاعات جانبا والدليل على ذلك اعتراف السلطان اسماعيل بالجهاد تحت راية العثمانيين و زعامتهم و قيادتهم للمسلمين في مشارق الأرض و مغاربها .

– تعبير و تصريح العثمانيين عن استعدادهم لدعم المغرب عسكريا و ذهبوا أيضا إلى حث السلطان المغربي بنوع من الوصاية على الجزائر ، وإن عمل هو بنصائحهم فسيكونون راضين عليها ، ولو أنّ تلك الوصاية لم تكن تتجاوز في نظر الباب العالي المجهود العسكري لتحرير الأراضي المحتلة [3] .

ويبدو أن الدولة العثمانية فعلت كل ذلك لإبعاد الخطر المغربي الهادف إلى التوسع على حساب أراضيها في الجزائر، وقضية تحرير المدن المغربية ما هي إلا أداة للتدخل في شؤون المغرب في نقطة بالغة الأهمية وهي مسألة الجهاد ، وبذلك تحويل أنظار المخزن الاسماعيلي عن الحدود الشرقية للمغرب الأقصى وفي نفس الوقت كان الباب العالي يدرك جيدا أنّ الجزائر في هذه المرحلة أصبحت تمثل قوة سياسية وهي قادرة على معارضة السياسة العثمانية .

[1] – محمد المنصور ، " الضغوط العثمانية وأثرها على تحرير الثغور المحتلة بالمغرب من خلال حالة طنجة "، **مجلة دار النيابة** ، العدد الخامس ، المطبعة المغربية ، طنجة ، المغرب ، 1985 م ، ص 28.

[2] – نفسه ، ص 29.

[3] – نفسه ، ص 30.

خاتمة :

نستخلص ممّا تقدم أنَّ الجزائر كانت طرفا في الصراع والتوتر بين المغرب الأقصى والباب العالي وذلك يعود إلى طموحات السلطان اسماعيل في التوسع على حساب الجزائر متجاوزا فكرة رسم الحدود التي كان قد طرحها العثمانيون .

تمهيد :

بعد استمرار التصادم العثماني المغربي بالجزائر و عدم نجاح أيَ طرف ارتأى الطرفان إيجاد حل لفض النزاعات وهو الحل الدبلوماسي الذي اتَبع سياسة تبادل الرسائل والسفارات لتهدئة الأوضاع، فما مدى نجاح الحل الدبلوماسي في تحسين العلاقات المغربية العثمانية ؟

المبحث الأول : عهد السلطان اسماعيل (1679 – 1727 م)

المطلب الأول : تبادل الرسائل

أ – دور الرسائل في إقرار الصلح :

اعتمِدت الرسائل الدبلوماسية بين المغرب الاسماعيلي و الباب العالي كشكل من أشكال التواصل الدبلوماسي في حل الكثير من المسائل العالقة بين البلدين و يمكن حصر تلك الرسائل بين الدولتين في أول رسالة بعث بها السلطان العثماني محمد الرابع إلى السلطان اسماعيل و ذلك بسبب هجوم هذا الأخير على الجزائر مدَعيا أنَ الجزائر استقبلت الثائر ابن محرز في الجنوب الجزائري ، يخبره في الرسالة بما فعله جيشه و يذكره من خلالها باتفاقية الهدنة التي أبرمت بين الطرفين في عهد أخيه السلطان محمد بن الشريف والرشيد [1].

بعد ذلك أخذت العلاقات بالانفراج و الانفتاح بين المغرب و الباب العالي ، و هذا يظهر من خلال الرسالة الطويلة التي أرسلها محمد بن حدو سفير السلطان اسماعيل إلى الملك الإسباني شارل الثاني المؤرخة في 05 أوت 1683 م ، إذ يتضح من خلالها أن السلطان العثماني ينصف السلطان المغربي مبرزا أن الجزائر هي إيالة تابعة للسيادة العثمانية وهي تحت أمره و نهيه و تصرفاتها خاضعة وفقا لما تمليه عليها [2].

ويتبين من خلال هذا أنّ العلاقات بدأت تتوطد و تميل إلى الود و السلم بين المغرب والباب العالي أكثر من أي فترة قد مضت ، فعند اعتلاء السلطان العثماني سليمان الثاني العرش سنة 1687 م اغتنم السلطان اسماعيل الفرصة و أرسل إلى جنابه رسالة [3] حملها إلى القسطنطينية عبد الملك الأيوبي و ذلك لتهنئته بتوليه الحكم و تجديد العهد [4].

وفي رسالة أخرى مؤرخة في 1696 بعث بها الباب العالي إلى السلطان اسماعيل كجواب على رسالته جاء فيها : " ... **لقد ورد علينا كتابكم الذي يعبر عن الود و الصداقة المتوارثين فيها بين الأمتين ... و إنَه من حين جلوسنا على العرش و نحن نقوم بأنفسنا على تقرير**

---

[1] – عبد الهادي التازي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، مرجع سابق ، ص 13 .

[2] – نفسه ، ص 14 .

[3] – أنظر الملحق رقم 08.

[4] – عبد الهادي التازي ، مرجع سابق ، ص 14 .

قواعد الملة خدمة لمصالح الأمة و رفعا لراية الجهاد و حماية للثغور الإسلامية لأننا لن نسمح بقيام المحظورات الشرعية في بلادنا ... " [1].

من خلال إلقائنا نظرة على هذه الرسالة يتبين أن السلطان العثماني حاول فض النزاعات التي كانت بين الجزائر و المغرب في إطار انتمائهما للإسلام ، غير أن الرسالة الثانية التي كانت في نفس السنة حملت في طياتها لهجة قاسية للسلطان اسماعيل حمّله فيها الباب العالي مسؤولية ذلك الصراع و التي جاء فيها: " **... إن الجزائر ضمن ممالكنا المحروسة وأن سكان البلاد و أهلها و حكامها منقادة من بعد أجدادنا لنا و إنه ما تزال توجد مليلية والبريجة و سبتة و بادس و هي تقع بجوار تلمسان و هي وهران تريدون أن تحوزوها بأعذار** [2] **على عكس ما تشير به الأية " يا أيها الذين أمنوا قاتلوا الذي يلونكم من الكفار و ليجدوا فيكم غلظة و اعلموا أن الله مع المتقين... "** [3].

ومن هنا يظهر لنا أن السلطان العثماني وقف في صف دايات الجزائر لكن بالرغم من هذا فإن السلطان اسماعيل لم يستسلم في محاولاته لاستمالة السلطان العثماني و تحسين علاقته به ، و الذي يؤكد هذا هو تلك الرسائل التي جمعته بملك فرنسا لويس الرابع عشر و من بينها الرسالة المؤرخة في سبتمبر 1699 م التي عبرت كلماتها عن مناصرة السلطان اسماعيل للدولة العثمانية في حروبها ضد الكفار و موالاته لها ، و يتجلى ذلك في التضامن الإسلامي[4].

وفي رسالة أخرى مؤرخة في 22 جويلية 1709 م [5] أبدى فيها السلطان اسماعيل استعداده للوقوف إلى جانب الدولة العثمانية و حليفتها فرنسا في حروبها ضد امبراطورية

---

[1] – عمر بن قايد ،" أضواء على علاقات الجزائر مع المغرب الأقصى خلال القرن 11 هـ / 17 م" ، **مجلة الواحات للبحوث و الدراسات** ، العدد 17 ، جامعة غرداية ، الجزائر ، 2012 ، ص 148 .

[2] – عمر بن القايد ، "أضواء على علاقات الجزائر مع المغرب الأقصى خلال القرن 11 هـ / 17 م "، مرجع سابق ص 148 .

[3] – سورة التوبة ، الآية 123 .

[4] – عبد الهادي التازي ،" السياسة الخارجية للمملكة المغربية إزاء العثمانيين "، **مجلة دعوة الحق** ، العدد 264 ، وأ ش إ الرباط ، المغرب ، 1957 م ، ص 03 .

[5] – أنظر الملحق رقم 05.

النمسا ويصرح في رسالته أن سبب دعمه العسكري لفرنسا هو تحالفها مع الدولة العثمانية ، و لو لا ذلك لما كان الموقف نفسه [1].

من هنا يتضح أن السلطان اسماعيل بين موقفه إزاء فرنسا و خيب أمالها الرامية إلى عقد أي اتفاقية معه ضد الدولة العثمانية أو الجزائر .

ب – علاقات السلم و المهادنة :

إن السياسة التي انتهجها السلطان العثماني أحمد الثالث اتجاه السلطان اسماعيل كانت عكس سياسة السلطان مصطفى الثاني ، إذ اتبع سياسة السلم و الوئام و الأمر الذي وطد العلاقات بينهما هو رسالة السلطان اسماعيل إلى فيليب الخامس ملك إسبانيا [2] يطلب منه فيها تحرير أسير جزائري اسمه محمد بن صوفة و التي أرخت سنة 1716 م [3].

وفي هذا الأساس تقدم نموذج أخر من تلك الرسائل المؤرخة في 1725 م و التي تعتبر جوابا من السلطان أحمد الثالث على رسالة السلطان اسماعيل إذ جاء فيها: " ... **و هذا و قد وصلنا كتابكم الشريف الرفيع الأسما ... اعلم أيها السيد المولى أن قبل أن يصلنا كتابكم الأسما وخطابكم الأنما كنا لا نعرف ما هم عليه أهل الجزائر و لا أنها إلينا فعلهم أحد كما أنهيتموه لنا و لا عرفنا من سار عندهم و لا ما هم عليه ... و الآن إن شاء الله نرد لهم البال و نشتغل بهم و لا نتركهم في حيز الإهمال و تلك الخرجة التي خرجوا لبلادك نطلب لكمال فعلك و حسبك أن تستمع لهم فيها في وجهنا ... و مسألة أخرى ، و إذا احتجت إليهم لغزو و أردت أخذ بلد من بلاد النصارى وأرسلت إليهم فإنهم يكونون منقادين للخدمة** ... " [4].

[1] – عبد الهادي التازي ،" السياسة الخارجية للمملكة المغربية إزاء العثمانيين "، مرجع سابق ، ص 04 .

[2] – أنظر الملحق رقم 06.

[3] – محمد الصغير اليفرني ، مصدر سابق ، ص 130 .

[4] – نفسه ، ص 137 .

من خلال استقرائنا لمحتوى الرسالة يتبين لنا أنها تعالج مسألتين

- الأولى تعلقت بالمشاكل الحدودية التي كانت بين الجزائر و المغرب الأقصى إذ صرح فيها السلطان العثماني باستعداده لوضع حد لتلك المناوشات التي اتهم بها دايات الجزائر كما صرح في خطابه هذا أنه لم يكن يعلم ما يحدث في الجزائر و هذا إن دل على شيء فإنه يدل على استقلالية الجزائر في هذه الفترة عن الباب العالي في إدارة شؤونها الداخلية والخارجية ، فكان الداي يعتبر نفسه هو الحاكم الأول و الأمر الناهي في الجزائر و لا علاقة للباب العالي بشؤونه [1].

- أمّا المسألة الثانية تمثلت في المساعدات العسكرية التي عرضها السلطان أحمد الثالث على السلطان اسماعيل في حروبه من أجل استرجاع أراضيه المحتلة و أجبر الجزائر على تقديم المساعدة إن احتاجها كما دعاه إلى تحسين علاقته معها ، فبسبب الصراعات التي كانت بينهما أجَلت مسألة الجهاد ، كمّا دعاه إلى الجهاد ضد الكفار و النصارى لأنه أمر واجب و مشرع انطلاقا من قوله تعالى : " **يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار و ليجدوا فيكم غلظة و اعلموا أن الله مع المتقين** " [2].

المطلب الثاني : تبادل السفارات

أ – السفارات المغربية إلى البلاط العثماني :

لقد لعب كل من الصراع و التوتر على الجزائر دورا خطيرا في توتير العلاقات السياسية بين المغرب الأقصى و الدولة العثمانية لذلك نشطت الآلة الدبلوماسية ، و ذلك لتكوين جو ملائم لتعزيز تلك العلاقات و قد اعتمد هذا النشاط الدبلوماسي بالإضافة إلى دور الرسائل بين الدولتين على تبادل السفارات [3].

إذ استخدم المخزن الاسماعيلي الكثير من المبعوثين إلى الدولة العثمانية لتسوية العلاقات بينهما ، و من بين تلك السفارات نذكر سفارة السلطان اسماعيل إلى البلاط العثماني في 16 أفريل 1708 م و ذلك بعد تمكن السلطة العثمانية من تحرير مدينة وهران

[1] – محمد الصغير اليفرني ، مرجع سابق ، ص 139 .

[2] – سورة التوبة ، الآية 123 .

[3] – عبد الهادي التازي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، مرجع سابق ، ص 13 .

فبعث رسالة تبريك و تهنئة مع شخص كان يدعي بأنه ابن محمد الرابع و قد رافقه سفير السلطان اسماعيل حيث قام هذا الاخير بوداعه و تمنى له التوفيق و النجاح [1] و لمّا وصل الشخص المذكور مع سفير فاس إلى جزيرة سقيز دعاهم محافظ بتر دار إلى مجلسه و فهم الموضوع منهما فأبقى الشخصين عنده و عرض على السلطان العثماني حديثهما فغضب غضبا شديدا و أمر بقتل الشخص المذكور و إعادة السفير إلى فاس مباشرة [2].

تأثر السلطان اسماعيل من الحادثة تأثرا كبيرا فأرسل بسفارة أخرى مع رسالة و قبل إرسالها طلب من الشخص المكلف بإرسالها خصيصا إلى البلاط العثماني و أمره بمناقشة السلطان و أن يفهمه أن الشرع الشريف يحرم قتل المذنب قبل سؤاله لأن هذا التصرف يولد الخلاف بين الحكام و يجعلهم يستغيبون بعضهم البعض ، و بعد ذلك أمر السفارة بالتوجه فورا إلى اسطنبول [3].

وعند وصولها استقبلهم السلطان أحمد الثالث ورد على رسالة السلطان اسماعيل بأنه لا يوجد أولاد للسلاطين العثمانيين يتجولون في تلك المناطق ، و أن الشخص نال جزاء كذبه وأنه خلص ذمته من سوء الظن ثم أبدى فرحة بالمبادرة التي قام بها السلطان اسماعيل في توضيح الأمور من جهة و تقديم التهاني له من جهة أخرى [4].

ومن هنا يتّضح أن السفارات لعبت دورا مهما في تحسين العلاقات بين الطرفين وباستثناء هذه السفارة لم تسجل المصادر سفارات أخرى ، إذ ارتبطت البعثات بالرسائل في توطيد العلاقات .

[1] – عزيز سامح ألتر ، مرجع سابق ، ص 443 .

[2] – نفسه ، ص 443 .

[3] – نفسه ، ص 444 .

[4] - محمد علي داهش ، مرجع سابق ، ص 167 .

ب – السفارات العثمانية إلى البلاط الاسماعيلي :

أرسلت الدولة العثمانية مجموعة من السفراء إلى البلاط الاسماعيلي في إطار تحسين العلاقات بين الطرفين من جهة و من جهة أخرى وضع حد و إيجاد حل للخلاف المغربي الجزائري الذي أصبح هاجسا يؤرق الدولة العثمانية و يزعزع العلاقة بينها و بين المغرب الأقصى [1].

وفي ظل هذا جاءت المبادرة الأولى من الجزائر تحمل هدية إلى السلطان اسماعيل تعبيرا عن الود و الصلح بين البلدين و كان ذلك سنة 1689 م [2].

وفي 29 أوت 1694 م أرسل السلطان اسماعيل ابنه زيدان على رأس جيش ضخم للهجوم على الأراضي الجزائرية و خلال هذه الأحداث وصلت سفارة من استنبول تتألف من عشرة أشخاص فاستقبلهم السلطان اسماعيل استقبالا عظيما و قد طلب من الهيئة إقامة صلح مع الجزائر فتعهد بتلبية رغبتها و أرسلها معززة مكرمة مع هدايا و تحف ثمينة [3].

وبعدما استطاع الجيش المغربي بقيادة زيدان حصار مدينة تلمسان و الزحف إلى حوض شلف تدخل السلطان العثماني أحمد الثاني لإقرار الصلح على أساس اتفاقيات الحدود القديمة لكن قوات الجيش المغربي هاجمت من جديد مدينة تلمسان سنة 1694 م ثمّ عادت حيث أتت ، و في أواخر سنة 1696 م و بعد استمرار التوتر على الحدود تدخل السلطان مصطفى الثاني لإقرار الصلح من جديد [4].

بعث سنة 1697 م السلطان العثماني بسفارة كبيرة لهذا الغرض إلى السلطان المغربي فاستجاب لذلك و تمّ عقد الصلح على الأسس القديمة (وادي تافنة كحد بين البلدين) [5] لكن زيدان نقض الصلح سنة 1701 م و قام السلطان اسماعيل بالزحف على الجزائر من الجهة الغربية على الحدود الجزائرية التي ظلت دائما موضع نزاع مع المغرب من عهد قديم لانتماء أهلها للسلطة المغربية و تعاطفهم معها على أن هجوم السلطان اسماعيل كلف

[1] – عبد الهادي التازي ، " السياسة الخارجية للمملكة المغربية إزاء العثمانيين "، ص 02 .

[2] – القادري ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 358 .

[3] – عزيز سامح ألتر ، مرجع سابق ، ص 442 .

[4] – محمد علي داهش ، مرجع سابق ، ص 166 .

[5] – الزياني ، البستان الظريف ، مصدر سابق ، ص 180 .

الجيش المغربي خسائر بشرية كبيرة إذ ثلاثة ألاف رأس علقت على أبواب العاصمة الجزائرية في 28 أفريل 1701 م و جرح السلطان اسماعيل حول وادي شلف و كاد يقع في قبضة القوات الجزائرية و في عودة الجيش هلك عدد كبير منه عطشا [1].

ومنذ هذه الهجومات توقفت عمليا كل المواجهات الكبرى مع القوات الجزائرية و يعود سبب ذلك إلى كثرة السفراء العثمانيين إلى البلاط الإسماعيلي بهدف تهدئة الأوضاع و إقرار الصلح [2].

ومن خلال هذا يتضح أن العلاقات الدبلوماسية بين المغرب و الدولة العثمانية في عهد السلطان اسماعيل حملت شعارين :

- الأول : حماية المغرب من أن تتسرب إليه مطامع الدولة العثمانية
- ثانيا : الوقوف إلى جانب الباب العالي في سائر خلافاته مع الدول المسيحية [3].

[1] – الزياني ، الروضة السليمانية ، مصدر سابق ، ص 85 .

[2] – ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، مرجع سابق ، ص 54 .

[3] – عبد الهادي التازي ،" السياسة الخارجية للمملكة المغربية إزاء العثمانيين" ، مرجع سابق ، ص 03 .

المبحث الثاني : عهد السلطان عبد الله (1729 – 1757 م).

المطلب الأول : المراسلات بين البلدين

أ – مراسلات السلطان عبد الله :

رغم الظروف السياسية المتدهورة التي أعقبت وفاة السلطان اسماعيل القوي بسبب التنافس بين أبنائه على الحكم إذ تذكر المصادر أن كان لديه حوالي خمس مائة ابن و كان من أولاده من أشركهم في الحكم ووضع على كل إقليم واحد إذ أن سياسته وطدت السلطة العلوية لكن توازنها كان هشا وحملت في طياتها جذور الأزمة التي اندلعت بعد وفاته [1] ولولا السلطان عبد الله لما استطاع المغرب الحفاظ على عرش العلويين الذي هيأه لما بعده [2].

وفي هذا الإطار استمرت صلة المغرب بالباب العالي في فترة حكم السلطان عبد الله ابن اسماعيل والسلطان محمود الأول ابن مصطفى الثاني [3] و يظهر ذلك من خلال المبادرة التي قام بها السلطان المغربي سنة 1731م في ظل علاقته بالعثمانيين و المشرق حين أرسل سفارة خاصة من بلاطه لتقديم التهاني بمناسبة جلوس السلطان محمود الأول على العرش و معهما رسالة جاء فيها :" ... **إن جنودنا و خيراتنا وافرة ..... أنتم حماة الحرمين الشريفين ، أنتم بين الملوك كالتاج على الرأس و اننا لنرجوا من جنابكم حفظ ما كان بين آبائنا وأجدادنا من عهود ....و قد أرسلنا كتابنا هذا بصحبة خديمنا الوفي القديم الحاج أحمد بخاري والرجاء تسهيل عودته بعد أن يستوفي الغرض .....**"[4] .

ب – مراسلات السلطان محمود الأول :

على إثر احتلال إسبانيا لوهران للمرة الثانية سنة 1732م كتب السلطان محمود الأول إلى السلطان عبد الله في رسالة مؤرخة في جانفي 1733 م يعلمه أن المجاهدين في الجزائر

---

[1] – عبد الكريم بن موسى الريفي ، مصدر سابق ، ص26 .

[2] – دلندة الأرقنش ، مرجع سابق ، ص30 .

[3] – خاليد فؤاد طحطح ، مرجع سابق ، ص 109 .

[4] – عبد الهادي التازي ، التاريخ الديبلوماسي للمغرب ، مرجع سابق ، ص23.

فشلوا في مقاومة الإسبان و أنهم بحاجة إلى مساعدة أخرى خاصة إن كانت من طرف جيرانهم أهل المغرب [1].

ففي 15 جوان 1732م نزل الإسبان في وهران و المرسى الكبير مرة ثانية بعد الخيبة التي تلقوها عام 1707م في المقابل جهز مصطفى بوشلاغم محرر وهران منذ 1707 م جيشه وجمع ما يزيد عن عشرين ألفا من المجاهدين من رجال الشعب مع نحو ألفين وخمس مائة رجل من الجيش [2].

وفي 30 جوان من نفس السنة جرت المعركة بين الطرفين فلم يصمد فيها الطرف الجزائري أمام القوة الإسبانية فقرر الباي مصطفى الانسحاب لذلك استولى الإسبان على مدينة وهران.

وبعد رسالة السلطان محمود الأول ، قام السلطان عبد الله بإرسال إمدادات عسكرية استجابة لطلب السلطان العثماني ، ففي 12 نوفمبر1733م قام الجيش الجزائري بمهاجمة المدينة فأصيب الإسبان بخسائر كبيرة و قتل قائدهم المركيز دي ميرو سنيل [3] كما تمكن من مهاجمة مركز العيون حول وهران ووصل حتى أبواب المدينة و لكنه لم يتمكن من استرجاعها .

ويتضح من خلال هذا أن ما قام به السلطان عبد الله كان موقفا يعبر عن وده وصداقته المتينة بالباب العالي [4] و في إطار تحسين العلاقات قامت الجزائر و بطلب من الدولة العثمانية فيما سبق في إقرار الصلح مع المغرب بالتوسط بين السلطان عبد الله والثائر أحمد الريفي لإصلاح الأمور بينهما [5].

[1] – عبد الهادي التازي ، التاريخ الديبلوماسي للمغرب ، مرجع سابق ، ص24 .

[2] – أحمد توفيق المدني ، مرجع سابق ، ص 478 .

[3] – نفسه ، ص 481 .

[4] – عبد الهادي التازي ، التاريخ الديبلوماسي للمغرب ، مرجع سابق ، ص24 .

[5] – محمد الضعيف الرباطي ، مصدر سابق ، ص 147 .

و يظهر ذلك في الوفد الذي أرسلته الجزائر إلى البلاط المغربي سنة 1743م ، يطلب من السلطان المغربي العفو من أحمد الريفي الذي أعلن التمرد و مساندة المستضييء [1] ضد السلطان عبد الله من خلال المعارك التي دارت بينهما ، و بعد أن تمكن هذا الأخير من التغلب عليهما عفى عنهما، و بذلك استقر حكمه مجددا بيعته للمرة الخامسة سنة 1744م[2] و من هنا يتضح أن الجزائر امتثلت لأوامر الدولة العثمانية في ترك النزاعات على جنب والالتزام بمعاهدة الحدود.

المطلب الثاني : تحول العلاقات :

أ - إعلان التبعية للباب العالي :

إن البحث في العلاقات بين المغرب و الدولة العثمانية يدفعنا إلى القول بأنها كانت على وتيرة واحدة تميزت بالسلم و الوئام التام و ذلك لطبيعة و شخصية السلطانين عبد الله ومحمود الأول [3].

فبعد وفاة السلطان اسماعيل 1727م انتهت حقبة من التوتر و الحذر في تاريخ العلاقات المغربية العثمانية و بدأ التغيير تدريجيا في سياسة البلدين من التوتر و المواجهة إلى معاهدة و تعاون و يتجلى ذلك بداية في التبعية التامة التي أعلنها السلطان عبد الله للباب العالي وذلك في رسالة جاء فيها:"... **أنا أخطب بك في مساجد الجمعة و الأعياد كما فعل ولدنا مع أسلافكم الجياد ، و لولا أن المغرب صعب المرام لاستعملت الأقدام إلى حضرة ذلك الهمام فهو جدير أن يجعلني من أحبائه و أن يحمل على من هذا الخطب عظيم أعبائه ، و لبذلت المجهود و المقصود ...**" [4].

---

[1] – هو ابن السلطان اسماعيل ، تولى حكم المغرب في فترة ما بين (1740-1744م) بعدما نصبه جيش البخاري، عرفت فترة حكمه الاضطراب و الصراع مع إخوته على الحكم ، انهزم سنة 1744م في معركة بينه و بين أخاه عبد الله و بذلك عزل ، توفي بسجلماسة سنة 1760 م ، **للمزيد أنظر** : الزياني ، الخبر عن أول دولة من دول الأشراف العلويين ، مصدر سابق ، ص 47.

[2] – ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، مرجع سابق ، ص78.

[3] – عبد الهادي التازي ، التاريخ الديبلوماسي للمغرب ، مرجع سابق ، ص23.

[4] – خاليد فؤاد طحطح ، مرجع سابق ، ص 109.

و من خلال هذا المقتطف يتبين لنا سياسة السلطان عبد الله كانت مغايرة تماما لسياسة والده السلطان اسماعيل ، فمنذ توليه الحكم في المغرب بادر في إعلان الولاء و التبعية للباب العالي و هذا يعود لسببين :

- الأول يعود إلى طبيعة و شخصية السلطان عبد الله الذي يميل في سياسته إلى المهادنة علاوة على هذا فإن الأوضاع السياسية المضطربة التي كانت تعيشها المغرب في هذه الفترة دفعته إلى تجنب أي صدام مع الجزائر و بالتالي الوقوف في وجه الدولة العثمانية فعمد إلى طوي صفحة الخلاف و الصراع و انتهاج سياسة الصلح و المهادنة.

- أما السبب الثاني فتمثل في رغبة السلطان عبد الله في كسب ود الباب العالي و استمالته إلى صفة بصفة إبعاده عن مشاكله الداخلية أو أي أطماع لضم بلاد المغرب الأقصى[1].

ب - أسباب تراجع العلاقات :

بعد الرسالة التي أرسلها السلطان عبد الله إلى الباب العالي شهدت العلاقات المغربية العثمانية تراجعا كبيرا الاضطرابات الداخلية التي كان يعيشها المغرب الأقصى من 1733م إلى غاية 1750م إذ عرفت هذه الفترة تنصيب خمسة سلاطين و خلع من خلالها السلطان عبد الله ، هذا ما أدى بالسلطان إلى المغربي انشغاله بمشاكله الداخلية و تراجع علاقاته الدولية خاصة مع الدولة العثمانية مكتفيا بإعلانه للتبعية [2].

أمّا عن الدولة العثمانية فقد تميزت هذه الفترة بانشغالها بحروبها مع روسيا و حلفائها بالإضافة إلى ما كانت تشهده من محاولتها في القضاء على التمردات في الجزائر ضدهم إلى جانب منازعتهم الحربية مع حكام تونس [3] و أيضا الرد على التحديات الاسبانية في السواحل الجزائرية ، إذ كانت العاصمة العثمانية بعيدة عن هذه الأحداث و لم تمد يد العون لحكام الجزائر العثمانيين بسبب تطلع السلطان العثماني إلى العودة للحكم المباشر للجزائر وتونس و طرابلس الغرب [4].

[1] - عبد الهادي التازي ، التاريخ الديبلوماسي للمغرب ، مرجع سابق ، ص23.

[2] - خاليد فؤاد طحطح ، مرجع سابق ، ص 109.

[3] - عبد المنعم الجميعي ، مرجع سابق ، ص55.

[4] - نفسه ، ص34.

غير أن العلاقات المغربية العثمانية ستعرف انقلابا و تحولا في مسارها خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر وذلك في فترة حكم السلطان محمد بن عبد الله (1757 – 1790م) تاركا كل الخلافات للماضي متبعا سياسة انفتاحية خصوصا مع الدولة العثمانية تحت إطار التضامن الإسلامي [1].

[1] – محمد الضعيف الرباطي ، مصدر سابق ، ص 187.

خاتمة :

نستخلص مما تقدم أنَ الحل الدبلوماسي لعب دورا كبيرا في حل الصراع القائم بين الطرفين ، و هذا راجع إلى رغبة المغرب الأقصى في إبعاد الدولة العثمانية عن شؤونه الداخلية و في المقابل كانت الدولة العثمانية تطمح إلى عودة حكمها المباشر في الجزائر وباقي الإيالات في المغرب العربي خاصة بعد تراجع سيادتها بالمنطقة .

ممّا تقدم يمكن القول :

ـ لقد أثّرت أوضاع كل من المغرب الأقصى والدولة العثمانية على مسار العلاقة بينهما ، إذ استغل المغرب الظروف الداخلية والخارجية للدولة العثمانية التي تميزت بالاضطرابات السياسية وحروبها مع الدول الأوروبية ، في محاولته لبسط النفوذ وتوسيع حدوده على حساب إيالة الجزائر من خلال تدخله العسكري في العديد من المناطق الجزائرية الغربية وبذلك اصطدم المغرب بالجزائر ودخلت في نطاق العلاقات الثنائية المغربية _ العثمانية التي تعتبر فيها الجزائر الطرف الرئيسي ومحور العلاقات بينهما .

ـ استمرار التوتر في العلاقات المغربية _ العثمانية خلال فترة حكم السلطان اسماعيل وذلك يعود إلى نظرة وسياسة كل طرف اتجاه الأخر فالعثمانيون كانوا يرغبون في ضم المغرب وبسط نفوذهم عليه ، كونه ظل البلد الوحيد الذي رفض الخضوع للسيادة العثمانية لاعتبارات دينية المتمثلة في الدعوة العلوية وادّعائها بأحقيتها في الخلافة الإسلامية .

ـ تعدّدت الأطراف في العلاقات المغربية _ العثمانية حيث لعبت كل من إسبانيا وفرنسا دور فعال في بَلورة العلاقات ، وخاصة إذ تعلق الأمر بإسبانيا بحكم موقعها الجغرافي القريب من كلا البلدين ، فقد كانت تسعى لضرب الدولتين ببعضهما حتى تضمن استقرار مكانتها في غرب الجزائر ، في حين كانت تعمل فرنسا لإيجاد حل لإبرام الصلح بين الطرفين لأنّ هذا سيخدم مصلحتها بالدرجة الأولى في منطقة غرب البحر الأبيض المتوسط .

ـ استخدمت الدولة العثمانية أسلوب الضغط على المغرب الأقصى لتحرير مدنه المحتلة وذلك لتحويل أنظاره عن الجزائر وعدم تدخلها في شؤونها الداخلية .

ـ إلى جانب الأوضاع السياسية والأطراف المساهمة في بناء العلاقات المغربية _ العثمانية فقد كان للاتصالات الدبلوماسية دور كبير في تطور تلك العلاقات ، إمّا في مرحلة الصراع والخلاف أو السلم والمهادنة ، فمن خلال تلك الرسائل والهدايا والسفارات التي كانت تبعث من قبل السلطان المغربي إلى الباب العالي ، والتي يظهر من خلالها أنّ المغرب الأقصى

عمل جاهداً على استمالة الباب العالي لصفه وذلك ضد إيالة الجزائر التي كانت تشكل خطرا أمام التوسع المغربي ، وفي نفس الوقت كانت الجزائر على فطنة ويقين بنوايا المغرب ولعل هذا ما جعلها تحسن علاقاتها بالباب العالي وتتصاع لأوامره في بعض الأحيان .

ـ عرفّت العلاقات المغربية _ العثمانية تحولاً جذريا خلال النصف الثاني للقرن الثامن عشر لتشهد مرحلة التعاون والتضامن ، فمن جهة هناك فرضية قائمة على تأكيد البعد الإسلامي في علاقة البلدين دار الإسلام إذ تختلف عن العلاقات الأخرى مع الدول الأوروبية ومن جهة ثانية لم يستطيعا الطرفان استيعاب الخلافات القوية والصراعات الطويلة ، فتبقى العلاقات بينهما مستمرة بصفتهما يشتركان في العديد من النقاط .

الملحق الأول :

يتعلق بسلاطين الدولة العلوية في القرن السابع عشر و النصف الثاني من القرن الثامن عشر [1].

_ علي الشريف بن عبد الله ، المعروف بالشريف(1631 – توفي في 1659 م).

_ محمد الأول بن الشريف الحسني(1636 – 1664 م).

_ الرشيد بن الشريف (1666 – 1672 م).

_ اسماعيل بن الشريف (1672 – 1727 م).

_ أحمد بن اسماعيل (1727 – 1729 م).

_ عبد الله بن اسماعيل (1729 – 1757 م).

[1] – أبو القاسم الزياني ، تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب ،مصدر سابق ، ص 79 .

الملحق الثاني :

شكل يبيّن السلاطين العثمانيون الذّين حكموا الدولة العثمانية من1679م إلى 1757م [1] .

محمد الرابع ابن ابراهيم : 1648 – 1687 م.

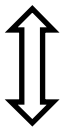

سليمان الثاني ابن ابراهيم : 1687 – 1691 م

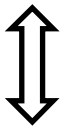

أحمد الثاني ابن ابراهيم : 1691 – 1695 م

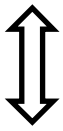

مصطفى الثاني ابن محمد الرابع : 1695 – 1703 م

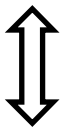

أحمد الثالث ابن محمد الرابع : 1703 – 1731 م

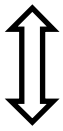

محمود الأول ابن مصطفى الثاني : 1731 – 1755 م

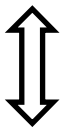

عثمان الثالث ابن مصطفى الثاني : 1755 – 1757 م

[1] – عزلتو يوسف بك أصاف ، مرجع سابق، ص 89 ، وما بعدها .

الملحق الثالث : رسالة السلطان أحمد المنصور إلى السلطان العثماني مراد الثالث .

" المقام الذي ارتاحت لمورد بشائره النفوس أي ارتياح ، و اهتزت لها رواسي مملكتنا لما عم السرور منها الربي و البطاح ، و تمشى في مفاصل أكنافها و أرجائها جريال الانبساط والانشراح ، و أقمنا للبسط بها في سائر أقطارنا الدانية و القاصية سوق مؤانسة و أفراح والإيالة التي لها في نصرة الدين الآثار المحمودة ، و المآثر المشهورة و المشهودة ، والمثابة التي مازالت معاقد يمناها بأكف الإيمان معقودة ، و بعرى الشريعة المحمدية مشدودة والمكانة التي غزر مفاخرها على جباه الأيام مجلوة و آحادها إذا استحصيت غير محدودة ولا معدودة ، مقام السلطان الأعظم الخاقان الأفخم ، المجاهد الأكبر ، الماجد الأخطر الأرقى ، الأسمى ، المحترم الأحمى ، الأود الأصفى ، الأحب الأوفى ، الأثير ، الأمجد الفاضل الأوحد ، المعظم الأحظى ، الهمام الأمضى ، الأجل الأرضى ، ناصر السنة والدين قامع الكفرة و المشركين ، المنصور الكتائب و العساكر ، المربي بحزمه و عزمه على الملوك من سلفه الأوائل و الأواخر ، السلطان مراد خان بن السلطان الجليل المقدار السامي العلم و المنار ، المحمود الإيراد و الإصدار الخاقان الأعظم الشهير ، الجليل الخطير حامي الدمار و الثغور ، صاحب اللواء المنصور السلطان سليمان خان بن السلاطين العظماء الكبار الذين أهم على أديم البسيطة تمام الصيت و عظيم الاشتهار ، أبقاه الله بقاء يشتد به أزر الدين ، و تقوض به أركان المشركين سلام كريم يعتمد مقامكم العلي السلطاني و جانبكم الأعظم الخاقاني ، سلام تهب على مثابتكم السامية نسماته و تتعطر بشذاه أكناف ذلكم الجناب السلطاني و جهاته ، يشمل مقامكم الأسمى و رحمة الله و بركاته .

أما بعد حمد الله الذي به تصدر صحائف المصافاة و تتأكد به أسباب الملابسة و الموالاة و تتطابق ببركته على ما يرضي الله الظواهر و المضمرات و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد خير مبعوث إلى البرايا و أجل من وحدت به أيدي النجائب و المطايا وأفضل من استغرقت في تعظيمه العذايا و العشايا و الرضى عن أله أسمى الناس قدرا وأعلاهم منصبا ، و عترته الذين خصهم الله بمزايا الفضل و مناقب الفخار و حبا ، و جعل موالاتهم لمرضاته سببا و صفوته التي لم تزل تتفجر ما بين الأرحام الفاطمية و الأصلاب العلوية ، فيها ما أطيبهم أما و أكرمهم أبا ، فهم أصحاب الكساء و ليس إلا بهم الإقتداء

والائتساء ، و المعينون بقوله تعالى : " قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى " فمن أسعده الله بمودتهم منحه في حضرة قدسه و مقام أنسه حدائق غلبا و عن أصحابه الذين خاضوا في نصرة دينه غمرات الكفاح ، و جالدوا عن سنته المطهرة بالبيض الصفاح ، فإن كتبناه إليكم كتب الله لمقامكم عزا يتكفل بإعلاء كلمة الإسلام و استئصال شأفة عباد الأوثان و الأصنام ، من حضرتنا العلية حمراء مراكش المحروسة بالله المحمية ، و عناية الله تعالى قد ضرب أكناف هذه الأقطار المغربية رواقها ، و استدار على ممالكها القاصية و الدانية نطاقها و لألي العدل قد راقه في جيد الدولة انتظامها و اتساقها و سور ولائكم لدنيا على الدوام متلوة و عقائل مصافاتكم على منصات التنويه مجلوة و مكنونات محبتكم الإيمانية بين الجوانح مخبوة ، و لا طاريء بحمد الله عدا ما نحن فيه من الاهتبال بمصالح العباد وإيضاح طرق الحق للحاضرين من البرايا و الباد ، ثم مواصلة البكر و الآصال فيما يوجب الدنو من رضى الله و الاتصال بإقامة فريضة الجهاد الذي هو الدثار لهذه الملة الإسلامية والشعار ، و القطب الذي عليه لشعائر الدين المذار ، فنحن بحمد الله دائما في الأهبة له والاستعداد و ارتباط الصافنات الجياد لإرهاب أعداء الله أهل الكفر و العناد ، و انتقاء الكماة لمواقف الطعن و الجلاد بنيات لا تشاب بغير الخلوص ، و عزائم لا يعرض لها بحول الله إذا صممت إحجام و لا نكوص .

هذا و قد وفد على علي مقامنا خطابكم الخاقاني ومدرجكم العلي السلطاني صحبة (أرسال) جنابكم السامي العثماني ، فأطلع في أفاق هذه الإيالة العلوية فجر الموالاة و الإتحاد و نادى بلسان المخالطة و الممازجة فأسمع الحاضر منها و الباد و بسطنا له مما يليق به من المبرة و التنويه بساطا و تلقيناه بوجه الترحيب و التكريم سرورا بمقدمه و اغتباطا .

و لما فض بأنامل الترحيب و الإقبال ختامه و حسر عن محياه الوسيم لثامه كان مما أنهاه إلينا من الأنباء التي تبتهج النفوس لسماعها و تستميل الأفئدة الإيمانية بحسن إبداعها وتزهوا الأقلام و المحابر بتخليدها في بطون المهارق و إيداعها إهداء البشارة العظمى والمسرة الكبرى ، بما سن الله لمقامكم الخاقاني من الظهور على الفئة الصوفية الخارجية الرافضة ، و تبديد جموعها التي إلى مشافة الله و رسوله ، و سب صحابة نبيه في مضمار الغواية راكضة و إلى جموعكم السنية ناهضة فيا لله من بشارة تزهو بها السنة و الإيمان وترتاح لسماعها ملائكة الرحمان ، و تفتتح لها أبواب حضرة الرضوان و نبأ عظيم أقام للمسرة أسواقا ، فلله الحمد الذي جعل سيوف السنة لسيوف الإلحاد قاهرة و لشوكة الرفض

داحضة و كاسرة ، و لكلمة التوحيد عاضدة و ناصرة و لا غرو فالسنة بحمد الله أعلا مظهرا و الجهاد في نصرتها أربح متجرا و أسنى مدخرا للمعاد و محتكرا ، فهنيئا بما سن الله لمقامكم من هذه المفاخر الفاخرة و المآثر الجامعة بين خير الدنيا و الآخرة ، فلقد جل في القلوب موقعها و طاب مساعها المعين و منبعها و شكرنا لمقامكم حسن المساهمة في سرورها الذي أوسع الصدر انشراحا ، و ملأ الجوانح مسرات و أفراحا ، فهي البشارة التي لا ترى للسرور بها كفاء ، و النبأ العجيب الذي فرحنا بخبره السار فرحا لا يغب صباحا ومساءا و رفعنا لنشره و شهرته في سائر أقطار ممالكنا الدانية و القاصية لواء حتى تساوى في السرور به في هذه الجهات الخاص و العام و أشدنا بذكره إشادة لا تزال مخلدة مع الأيام إظهارا لعظيم مآثركم ، و حسن آثاركم في نصرة الدين و جميل مفاخركم ، و كيف لا والأهواء على نصرة السنة بحمد الله متفقة و المحبة فيما بين الجانبين ما امتدت الأعصار متحققة و الكلمة على حماية بيضة الإسلام متسقة و منابتكم السامية لذلك لا تحول عن كريم معهودها في المساهمة بمثل هذه البشائر ، و المطالعة بكل ما يتحدد لمقامكم الخاقاني من أمثال هذه المفاخر ، فإننا ممن يتضاعف بذلك سروره ، و يبتهج بأنبائكم السارة أفئدته وصدوره و الله تعالى يجعل حبل الموالاة في ذاته مديدا ، و رسم المحبة الخالصة لوجهه وجلاله دائما جديدا ، و عائد السلام الأتم على مقامكم و رحمة الله و بركاته " [1] .

[1] – عبد الله كنون ، **رسائل سعدية** ، دار الطباعة المغربية ، تطوان ، المغرب ، 1954 م ص 18 وما بعدها.

الملحق الرابع : رسالة محمد بن حدو أعطار إلى شارل ملك إنجلترا تبرز الضغط العثماني على السلطان اسماعيل لتحرير طنجة [1] .

" فات منه (مولاي اسماعيل) كب هذه الساعة للعثماني ملك بر الترك و المشرق كله واشتكى له ضيقنا (المولى اسماعيل دائما) بهذه لإيالة كذا التي بالجزائر فأتاه الجواب وكتابه ما هو عندنا بطابعه قال له فيه أهل الجزائر يكونون عند أمرك و نهيك في كل ما تريده منهم و يعطونك الحركة و الجيش لجهاد النصارى في الوقت الذي تريد ، و إن لم يبادروا لك بكل ما تحتاجه منهم فقد أذنا لك انتقم منهم بنفسك ، و صرف لهم ضيفي نسخة من كتابه و مسك كتاب العثماني عنده ... ذلك أهل الجزائر و أجابوه بالسمع و الطاعة على الذي يأمرهم به من حركات النصارى و غيرها و ها ضيفنا يريد رد الجواب و الهدية له ثانيا ، لأنه كان قبل هذه المكاتبة ما بينه و بين (العثماني) مواصلة ، و الآن أتاه كتابه وتعرف به كثيرا و اتصلت المحبة و الأخوة بينهما فلا يصبر ضيفي عن مواصلته و مكاتبته بكل شيء ، و أول ما ذكر العثماني في كتابه لضيفي و أكد ما حرض عليه جهادكم قال له فيه : " أنتم أشرف أهل قرابة الرسول صلى الله عليه و سلم و ذريته و أولاد بنته و أحق الناس بإتباعه و خدمته و جهاد أعدائه ، فكيف بكم تصبرون على الجهاد و على أربعة مدن للنصارى في بركم و بلادكم و لا بينكم إلا يوم (كذا) أو يومين .

و حرضه كثيرا على الجهاد و لا قبل له عذرا فيه فرأيت ضيفي عمل بوصيته و التفت لتحريضه و أصغى بأذنيه لقوله ، و عمل بما كتب له في قلبه و جوارحه لأنه ملك ملوك الإسلام و الروم و العجم و خادم الحرمين الشريفين و مصر و بر الترك و هو نازل في بحبوحة النصارى عن يمينه و يساره و تحت يديه و طاعته و واجب على الإسلام العمل بقوله و الالتفات إليه " .

[1] – محمد المنصور ، مرجع سابق ، ص 29 .

الملحق الخامس : رسالة السلطان اسماعيل إلى ملك فرنسا لويس الرابع عشر المؤرخة في 29 سبتمبر 1699 م .

" ... هذا و كنا من أجل ذلك نعرف لك بعض الحق من كثرة موالاتك لصاحب اسطنبول الذي هو ملك مولك الإسلام و له معرفة بقدرنا و محبة في جنابنا و نحن نحبه و نوقره ونرى له من الحق الواجب علينا ما لم نره لغيره لخدمته الحرمين الشريفين ، فالله الله ثم الله في جانبه و مولاته بأنواع الخير كله على الدوام ... " .

رسالة السلطان اسماعيل إلى ملك فرنسا لويس الرابع عشر المؤرخة في 22 جويلية 1709 م .

" .... إن الأتراك يخافون من العرب و ذلك لكثرة هؤلاء ، إنهم لو اجتمعوا و غادروا الصحراء لأمكنهم أن يستنزفوا أكبر نهر في الدنيا علاوة على أن الأتراك يخافون أشد الخوف من أن يقوم العرب استقبالا بدور يأتي مالك تركيا و هو الشعور الذي يفيده عدم الاعتراف للعرب إطلاقا بما يقومونه للعثمانيين من مساندات كان عليهم أن يعترفوا لهم بها ولا يستونها..." [1] .

[1] – عبد الهادي التازي ،" السياسة الخارجية للمملكة المغربية إزاء العثمانيين " ، مرجع سابق ص 03.

الملحق السادس : رسالة السلطان اسماعيل إلى الملك الإسباني فليب الخامس بشأن تحرير أسير جزائري [1].

الحمد لله وحده و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم لا رب غيره ، و لا معبود بالحق سواء

أيده الله و نصره ، و ظفر بيمينه جنوده و عساكره أمين يا رب العالمين

إلى طاغية قشتالة ، أليون ، راغون نبارة ، ميورفة ، منورفة الأندلسية العليا و غيرها فليب كينط .

سلام على من اتبع الهدى

أما بعد فقد ورد لمقامنا العلي بالله رجل مسكين من أهل الجزائر مزغنة ، و تلاقينا معه في يوم عيدنا المبارك القريب من التاريخ ، و ذكر لنا بأن ولده اسمه محمد بن صوفة أسير عندك في إيالتك إسبانية ، و هو الآن في الغراب المسمى قباطنة و استحينا منه لكبر سنه و لغربته في بلادنا و قصده إلينا ، فنادينا على النصارى الفرابلية الاسبنيول الذين عندنا وتكلمنا معهم في شأن ولد هذا الرجل المذكور فقالوا لنا إنهم لا قدرة لهم على تسريحه إلا بإذنك و بمشورتك ، فلذلك كتبنا لك هذا الكتاب الكريم أسماء الله لتسرحه لنا بعد أن عينا نصرانيا واحدا من جنس الاسبنيول اسمه منويل أبانيس و وجهناه لمدينة تطوان يجلس بها إلى أن يقدم المسلم الأسير محمد بن صوفة المذكور و نسرحه حتى هو بحول الله و قوته وكذلك نقضوا لك جميع ما يعرض لك من الأعراض الجائزات في إيالتنا المباركة إن شاء الله تعالى بتوفيقه ، و قد سرحنا قبل اليوم واحدا من النصارى الفرابلية كان أسيرا عندنا أطلقناه في يد النصارى الفرابلية الأسارى ، و اليوم رأيناهم قصروا في ذلك و لم يمدوا أيديهم في الكلام فيهم معنا ، فأظنهم لا إذن لهم من قبلك فإذا أعطيتهم الإذن فما نعمل لهم إلى غرضهم على عادتنا المباركة معهم .

و السلام على من اتبع الهدى

و كتب في السادس و العشرين من ربيع الأول النبوي المفضل الشريف عام ثمانية و عشرين و مائة و ألف .

وثيقة الرسالة [1] :

[1] – محمد الصغير اليفرني ، مصدر سابق ، ص 130 ، 131 .

الملحق السابع : جواب السلطان العثماني أحمد الثالث عن رسالة السلطان المغربي اسماعيل .

إلى الملك الجميل الفعال ، السالك محمود الخصال ، حارس ثغور الإسلام ، فارس هيجاء الاعتصام ، صاحب العز و المجد ، و السياسة و الجد ، المولى اسماعيل أدام الله عزه وحرس حوزه ، و أمده بالعز و السعادة ، و صوب السيادة ، صاحب الملك و النعمة واللطافة و الرحمة .

بعثت إليك بسلام خالص و تحية طيبة ، و ألقيت عليك محبة مني عن طيب خاطر ، وخير متواتر ، لأنك صاحب الكرسي الشريف ، و شرفكم أصيل من جد إلى جد ، إلى النبي صلى الله عليه و سلم و شرف محمد و الكرامة السرمدية ، و أهل الشريعة المحمدية ، يجب علينا معرفة قدركم ، و التنويه بمجدكم و فخركم ، و كيف تخفانا كرامتكم و طهارتكم ، والله يقول ، " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا " ، و أنتم أهل الفضل و السلطنة العلية ، و مفتحة لكم الأبواب السنية .

هذا و قد وصلنا كتابكم الشريف الرفيع الأسما ، مترجما عن أسرار محبتكم ، فعرفنا ما تضمنه من الصداقة و المحبة و المودة الخالصة فينا ، فأعجبنا كثيرا و عظمناه في قلوبنا و فرحنا به فرحا كبيرا ، و انشرحت به صدورنا ، و طابت به نفوسنا ، و عظمناه تعظيما زائدا ، و تحققنا من خطابك فيه أنك تحبنا محبة كثيرة صافية بصفاء قلب وصدق نية متوجهة لوجه الله ، و من قديم الزمان كانت ملوك المغرب من الأشراف يكتبون إلينا ، و ترد رسلهم علينا ، و لم تنقطع كتبهم و رسلهم عن أسلافنا ، و كانت بيننا محبة قديمة في سالف الزمان ، ملك عن ملك و سلطان عن سلطان .

اعلم أيها السيد المولى أنا قبل أن يصل إلينا كتابكم الأسما و خطابكم الأنما ، كنا لا نعرف ما هم عليه أهل الجزائر ، و لا أنهي إلينا فعلهم أحد كما أنهيتموه لنا ، و لا عرفنا ما صار عندهم و لا ما هم عليه و بالجملة أهل الجزائر ما هم على شيء لكونهم أخلاط الناس فيهم الأصلي و فيهم البراني و فيهم من لا خلاق له ، لم تكن عمارتها بذوي الأحساب والأنساب كل هذا لا يخفانا قبل ، نعرفه و نحققه منهم ، و قد بلغنا أنهم خرجوا من البلاد بمحلتهم و أرادوا الشر معك ، و إنا لا نرضى منهم ذلك ، و هذه الذخائر و الأموال و الخزائن التي خيرتنا بها قطعا خبر بها غيرك ، و الآن إن شاء الله نرد لهم البال ، و نشتغل بهم و لا

نتركهم في حيز الإهمال ، و تلك الخرجة التي خرجوا لبلادك نطلب من كمال فعلك وحسبك أن تسمح لهم فيها لوجهنا ، و إن عادوا يراجعونك و لو بكلمة نمحي جرتهم و هذا زمان ما جاءنا سفراؤهم و أخبارهم ، و الآن حيث أيقضتنا إن رجعوا عن سوء فعلهم فذاك المنى و المراد ، و إن تمادوا على غيهم و أساءوا في جانبك و لو بكلمة أعلمنا و نحن نفوض لك فيهم تنتقم منهم بيدك و تفعل فيهم ما أردت .

و مسألة أخرى ، و إذا احتجت إليهم لغزو و أردت أخذ بلد من بلاد النصارى و أرسلت إليهم فإنهم يكونون منقادين للخدمة بين يديك كما تحب و ترضى إلى أن تقضي غرضك وتتّم حاجتك في الجهاد و مرادك ، فإن ساعدوك على ذلك فتبارك الله ، و إن لم يساعدوك فأكتب لنا و ترى ما نفعل بهم ، و أنا كما تعلم ما غفلت عنهم إلا لأجل الجهاد ، و وقوفهم في ذلك الباب في تلك البلاد ، و من هذا الحين إن شاء الله نعود نبعث إليهم في كل سنة باشا جديدا و قاضيا كذلك يطلعان عليهم ، و لا يغيبان خبرهم عنا حتى لا يغيب عنا شأن من شؤونهم و لا أمر من أمورهم ، و لا نغفل عنهم بعد هذا ، فجزاك الله عنا خيرا حيث نبهتنا و أيقضتنا لفعلهم ، و لا شك أن فيهم البعض يلزمهم التعزيز في الشرع ، و إنا نغفل عنهم لما ذكرنا لك من أمور الجهاد و إنا نعرف و نتحقق أنا لا قدرة لهم على الوقوف أمامك ، و لا يطيقون ملاقاتك ن و لكن إذا أنت حركت إليهم و قصدت مضرتهم فإنك تعطلهم عن الجهاد و لا ينبغي لك تعطيلهم عن الجهاد شرعا ، و إذا هم فعلوا ما يغيظك أو ما يليق بك فينبغي بفضلك و حلمك و جودك أن تتجاوز عنهم ، و لا تحافيهم بسوء فعلهم لأجل الجهاد ، و ما غفلنا عنهم نحن إلا لأجله ، و لقد كفونا أمره ، و لا تحتاج أن تتكلف لهم براتب و لا مصروف و لا ملزوم و لا غير ذلك بفضل الله ، و لا احتياج لنا بخزائنهم فمن كل ناحية و بلدة تأتينا الخزائن بلا نهاية فلله الحمد و له الشكر ، (و أتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين) و يدنا و الحمد لله طائلة عليهم و على غيرهم ، و لا تقوا إني بعيد عليهم و يمنعون منا إن نحن قبلنا عليهم أو رددنا البال إليهم ، فما هم إلا لقمة و خزائنهم ومتاعهم لا يسمن و لا يغني من جوع ، و إنما لما بلغني كتابك الشريف علمت شيطنتهم وقبحهم ، و غاظني كثيرا فعلهم كما أغاظك أو أكثر ، و هذه مدة طويلة لم يأتوني ، و اليوم حيث ظهرت شيطنتهم إن هم جاءوني و أتوني فإنا نعرف ما نصنع بهم ، لأن السماع بنا كالشمس في وسط النهار ، و ذلك فضل الله و على خاطرنا لا تحافيهم بسوء فعالهم ، و الله تعالى ينجيك و يحفظك من كل بلاء أمين يا رب العالمين .

و بعد ما يصل كتابنا هذا إليك و تطالعه و تفهم ما فيه تعرف ما نحن عليه من الجد والاجتهاد و إنا متمادون بحمد الله سبحانه على الجهاد من عهد الآباء و الأجداد ، رحمهم الله ، و أنت أعزك الله إذا كان من النصارى قريبا منك لا تغفل عنهم و لا عن جهادهم ولا تتم أبدا عن قتالهم ، قال الله تعالى (تجاهدون في سبيل الله بأموالكم و أنفسكم ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) ، و قال تعالى (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار و ليجدوا فيكم غلظة) و قال تعالى (و فضل الله و المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه و مغفرة ورحمة ، و كان الله غفورا رحيما) ، إلى غير ذلك من الآية الشريفة الكريمة الواردة بالتحريض ، و الأمر بجهاد الكفار أمر واجب و نحن و الحمد لله ما لنا اشتغال و لا استغرقنا ليلنا و نهارنا إلا في جهاد العدو الكافر ، و نجر إلى أعداء الدين الجيوش والعساكر ، و حيثما توجهنا و الحمد لله نقطع كلمة الكفر و نقيم الدين و الأذان في جميع الأقطار و الأوطان ، و حيث ما تحلق يدنا يزول الأذى و الفساد في الأرض بتأييد اللهم ومعجزة رسول الله صلى الله عليه و سلم و ننتقم من عدو الله الكافر حيثما كان ، و الجهة التي نقبل عليها و نتوجه بحول الله و قوته إليها و لم يعطوا للطاعة يدا نخرب مملكتهم ونجدب أفئدتهم ، و أنت إذا كان النصارى حذاءك و بقربك لا تبطل الجهاد أبدا ، و الله يرزقك تأييدا ، و ينصرك عليهم نصرا عزيزا طويلا مديدا ، و أما نحن و الحمد لله كل ما والانا من النصارى و الأعجام ، طوعناهم بصارم الحسام ، و لم يبق و الحمد لله من يرفع منهم رأسه .

و جزاك الله خيرا حيث ذكرتنا و كتبت إلينا و عرفت قدرنا و ما نحن عليه من الجد والاجتهاد و الاشتغال بجهاد الكفرة في سائر النواحي و البلدان ، و أقول :

أنا الشمس قدرا و الملوك كواكب أنا البحر جودا و الكرام جداول

و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، و الله ذو الفضل العظيم .

و قد أمرنا الله بهذه الغلظة على الكفار ، الذين استغرقنا في جهادهم الليل و النهار، والسر و الإجهار ، و كل من يسمع به قد عظمت شوكته من ملوك النصارى تحرك له و نقطع أثاره ، و تحزب بلاده و دياره و نتركه تحت يد القهر ذليلا ، خاسئا حسيرا كليلا ، و الحمد لله الذي لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا ، و إذا بقينا بلا شغل و لم نجد من النصارى من نجاهده نفسد الصلح مع بعضهم بموجب و لا نخادعهم و لا نبطل جهاد الكفار أصلا ، و لا نخلي أبدا منه وقتا و لا محلا .

فأدع لنا بفضلك فإن دعوة الأمير العادل مستجابة ، صادقة من غير استرابة ، و تطلب أن لا ينسانا جميع أهل طاعتك من المؤمنين خصوصا العلماء و الأولياء ، و المشايخ والصلحاء و عساكر الموحدين ، من الدعاء و الإعانة على جهاد الكفار و أعداء الدين وقد كتب لك هذا الكتاب عن خلوص قلب و محبة و مودة ثابتة زائدة ، و السلام .

و كان تحريره أخر جمادى الأخيرة عام سبعة و ثلاثين و إحدى عشرة منه بدرا السلطنة العلية قسطنطينية سالمة محمية [1] .

[1] – محمد الصغير اليفرني ، مصدر سابق ، ص 136 و ما بعدها .

الملحق الثامن : رسالة السلطان المغربي اسماعيل إلى السلطان العثماني سليمان الثاني بمناسبة اعتلاءه العرش [1] .

[1] – عبد الهادي التازي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى الآن (عهد العلويين) ، مرجع سابق ، ص 15.

الملحق التاسع : رسالة السلطان العثماني محمود الأول إلى السلطان المغربي عبد الله [1] .

[1] – عبد الهادي التازي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى الآن (عهد العلويين) ، مرجع سابق ، ص 24 .

الملحق العاشر : خريطة تبرز المدن المغربية المحررة في العهد الاسماعيلي [1] .

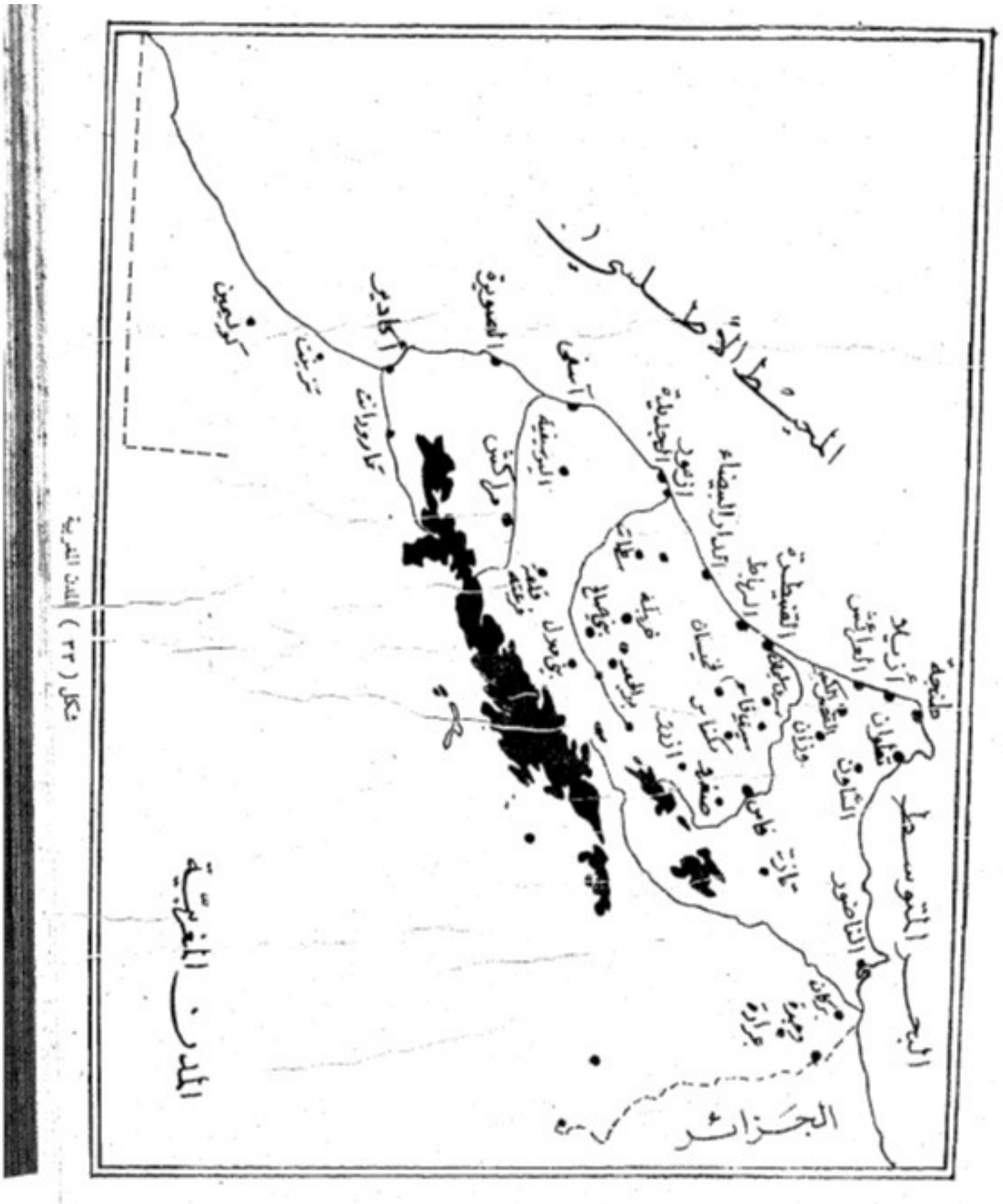

[1] – يسرى الجوهري ، **شمال افريقية** ، ط6 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1980م ص 211 .

الملحق الحادي عشر : صورة تقريبية للسلطان المغربي اسماعيل بن الشريف الحسني [1] .

[1] – محمد الصغير اليفرني ، مصدر سابق ، ص 40 .

الملحق الثاني عشر: صورة تقريبية للسلطان المغربي عبد الله بن اسماعيل [1] .

[1] – عبد الرحمان ابن زيدان ، العلاقات السياسية للدولة العلوية ، مصدر سابق ، ص 58 .

القـــائـمـة البـبـلـيوغـــرافيـــة

القرآن الكريم .

1- <u>المخطوطات :</u>

_ الزياني أبو القاسم ، **الروضة السليمانية في ذكر ملوك الدولة الإسماعيلية ومن تقدمها من الدول الإسلامية** ، مؤسسة عبد العزيز، الدار البيضاء ، المغرب.

2- <u>المصادر المطبوعة باللغة العربية :</u>

_ ابن زيدان عبد الرحمن ، **العلائق السياسية للدولة العلوية** ، (تق و تح : عبد اللطيف الشاذلي) ، المطبعة الملكية ، الرباط ، المغرب ، 1999 م .

_ ـــــ ، **المنزع اللطيف في مفاخر المولى اسماعيل بن الشريف** ، (تق و تح : عبد الهادي التازي) ، ط1 ، مطبعة أذيال ، الدار البيضاء ، المغرب 1993م.

_ ـــــ ، **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس** ، (تح : علي عمر) ، ج1 ج3 ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينة ، القاهرة ، 2008 م .

_ ـــــ ، **الدرر الفاخرة بمأثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة** ، المطبعة الاقتصادية الرباط ، المغرب ، 1973 م .

_ أمين محمد ، **رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار** ، (دراسة وتح : عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد عوض ، قدمه و فرضه : محمد بكر اسماعيل) ، ج1 طبعة خاصة ، دار عالم الكتب ، الرياض ، 2005 م .

_ الأندلسي محمد الغساني ، **رحلة الوزير في إفتكاك الأسير (1690 – 1691 م)** (تحرير و تق : نوري الجراح) ، ط1 ، دار السويدي ، الإمارات ، 2002 م.

_ بك حليم ابراهيم ، **التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية** ، ط1 ، مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنان ، 1988 م .

_ التمكروتي علي بن محمد ، **النفحة المسكية في السفارة التركية** ، (تق وتح : عبد اللطيف الشاذلي) ، المطبعة الملكية ، الرباط ، المغرب ، 2002م.

_الرباطي محمد الضعيف ، **تاريخ الضعيف(تاريخ الدولة السعيدة)** ، (تح و تع و تق : أحمد العماري) ، ط1 ، دار المأثورات ، الرباط ، المغرب ، 1986 م .

– الريفي عبد الكريم بم موسى ، **زهر الأكم** ، (دراسة و تح : آسية بنعدادة) ، مطبعة المعارف ، الرباط ، المغرب ، 1992 م .

– الزياني أبو القاسم ، **البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف (القسم الأول من النشأة إلى نهاية عهد سيدي محمد بن عبد الله)** ، (دراسة و تح : رشيد الزاوية) ، ط1 مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، المغرب ، 1992 م .

– ـــــ ، **تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب** ،(تق و تح : رشيد الزاوية) ط1 ، مطبعة الامنية ، الرباط المغرب ، 2008 م .

– السملالي العباس بن ابراهيم ، **الإعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأعلام** ج3 (مراجعة : عبد الوهاب ابن منصور) ، ط2 ، المطبعة الملكية ، المغرب 1993 م .

– القادري محمد بن الطيب ، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر و الثاني عشر** ، ج2 ج3 ، ج4 ، (تح : محمد حجي ، أحمد التوفيق) ، مطبوعات دار المغرب ، الرباط المغرب ، 1977 م .

– القشتالي عبد العزيز ، **مناهل الصفا في مأثر موالينا الشرفا** ، (دراسة و تح : عبد الكريم كريم) ، و أ ش إ ، الرباط ، المغرب ، 1972 م .

– كربخال مارمول ، **إفريقيا** ، ج2 ، (تر : محمد حجي و أخرون) ، دار المعارف الجديدة ، الرباط ، المغرب ، 1984 م .

– الكنسوسي أبو عبد الله محمد بن أحمد ، **الجيش العرمرم الخماسي في دولة مولانا علي السجلماسي** ، ج1 ، (تق و تح و تع : أحمد بن يوسف الكنسوسي) ، المطبعة و الرزاقة الوطنية ، مراكش ، المغرب ، 1994 م .

– المحامي فريد بك ، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** ، (تح : إحسان حقي) ، ط1 ، دار النفائس ، لبنان ، 1981 م .

– المشرفي محمد بن محمد بن مصطفى ، **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية و عد بعض مفاخرها غير المتناهية** ، ج1 ، ج2 ، (دراسة و تح : إدريس بوهليلة) ، و أ ش إ الرباط ، المغرب ، 2005 م .

– الناصري أبو العباس بن خالد ، **الإستقصا لدول المغرب الأقصى** ، ج7 ، (تح و تع : جعفر الناصري) ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1997 م .

– الوجاد المراكشي ، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي** ، (تصحيح : هوداس) المغرب ، 1888 م .

– الوزان حسن ، **وصف إفريقيا** ، ج1 ، ج2 ، (تر : محمد حجي ، محمد الأخضر) دار المغرب الإسلامي ، لبنان ، 1983 م .

– اليفرني محمد الصغير ، **روضة التعريف بمفاخر مولانا اسماعيل الشريف** ، (تح: عبد الوهاب بمنصور) ، ط2 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، المغرب ،1995 م.

3– المراجع باللغة العربية :

– الأخضر محمد ، **الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية (1075 – 1311 هـ ، 1664 – 1894 م)** ، ط1 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء المغرب 1977 م .

– الأرقتش دلندة و أخرون ، **المغرب العربي من خلال المصادر** ، مركز النشر الجامعي المغرب ، 2003 م .

– ألتر عزيز سامح ، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية** ، (تر : محمود علي عامر) ط1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1989 م .

– أوزتونا يلماز ، **تاريخ الدولة العثمانية** ، مج1 ، (تر : محمد سليمان) ، (مراجعة وتنقيح : محمد الأنصاري) ، ط1 ، مؤسسة فيصل للتمويل ، تركيا ، 1988م .

– إينالجيك خليل ، **التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للدولة العثمانية** ، مج2،(1600 – 1914 م) ، (تر : قاسم عبده قاسم) ، ط1 ، دار المدار الإسلامي ، لبنان، 2007 م .

– الباروني عمر محمد ، **الإسبان و فرسان القديس يوحنا في طرابلس** ، مطبعة ماجي طرابلس ، ليبيا ، 1952 م .

– بروفنسال ليفي ، **نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى** ، مطبوعات لاروز باريس ، 1948 م .

– البزاز محمد الأمين ، **تاريخ الأوبئة و المجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر و التاسع عشر** ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ، المغرب 1992 م .

– بلوكمان كارل ، **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، (تر : أمين فارس منير البعلبكي) ، ط5 دار العلم للملايين ، لبنان ، 1973 م .

– بنعبد الله عبد العزيز ، **تاريخ المغرب** (العصر الحديث و الفترة المعاصرة) ، ج2 مكتبة السلام ، المغرب .

– ـــــ ، **معطيات الحضارة المغربية** ، ج2 ، دار الكتب العربية ، الرباط ، المغرب 1963 م .

– التازي عبد الهادي ، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم (عهد العلويين)** ، ج9 ، الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية ، مصر ، 1988 م .

– الجمل شوقي ، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا ، تونس الجزائر المغرب)** ، ط1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1977 م .

– الجميعي عبد المنعم ، **الدولة العثمانية و المغرب العربي** ، دار الفكر المغربي ، القاهرة 2007 م .

– الجوهري يسرى ، **شمال إفريقيا** ، ط6 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر 1980 م .

– حجي محمد ، **الزاوية الدلائية و دورها الديني و العلمي و السياسي** ، ط2 ، مطبعة الجديدة ، الرباط ، المغرب ، 1988 م .

– حركات ابراهيم ، **المغرب عبر التاريخ** ، ج3 ، ط2 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء المغرب ، 1994 م .

– ـــــ ، **ملحق المغرب عبر التاريخ** ، ج3 ، (التيارات السياسية و الفكرية بالمغرب) ط2 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1994.

– محمد داود ، **تاريخ تطوان** ، ج1 ، (تق : محمد بنونة) ، تطوان ، المغرب 1959 م.

– الدغيق محمود السيد ، **أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية** ، ندوة عقدها الإتحاد بالقاهرة ، مصر ، 1993 م .

– رزوق محمد ، **دراسات في تاريخ المغرب** ، ط1 ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء المغرب 1991 م .

– روجرز ب ، ج ، **تاريخ العلاقات الإنجليزية – المغربية حتى عام 1900 م** (تر ودراسة و تع : يونان لبيب رزق) ، ط1 ، دار الثقافة ، الدار البيضاء المغرب، 1981 م.

– السيد محمود ، **تاريخ دول المغرب العربي (ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب موريتانيا)** مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، مصر ، 2006 م .

– شاكر محمود ، **التاريخ الإسلامي (العهد العثماني)** ، ج8 ، ط4 ، المكتب الإسلامي بيروت ، 2000 م .

– الصلابي محمد علي ، **الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط** ، ط1 ، دار التوزيع و النشر الإسلامية ، مصر ، 2001 م .

– ضيف شوقي ، **عصر الدولة و الإمارات (الجزائر ، المغرب الأقصى موريتانيا السودان)** ، ط1 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1995 م .

– طقوش محمد سهيل، **التاريخ الإسلامي الوجيز** ، ط5 ، دار النفائس ، بيروت ، 2011م.

– العلوي اسماعيل عبد الحميد مولاي ، **تاريخ وجدة و أنكاد في دوحة الأمجاد** ، ج1 ، ط1 مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1985 م .

– علي عامر محمود ، خير فارس محمد ،" **تاريخ المغرب العربي الحديث "** المغرب الأقصى ، ليبية " ، دمشق ، 1999 م .

– غلاب عبد الكريم ، **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي** ، ج2 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2005 م .

– الفيلالي عبد الكريم ، **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير** ، ج4 ، ط1 ، شركة ناس للطباعة ، القاهرة ، مصر ، 2006 م .

– كنون عبد الله ، **رسائل سعدية** ، دار الطباعة المغربية ، تطوان ، المغرب 1954 م.

– لوي ميج جوب و أخرون ، **تطوان الحاضرة الأندلسية المغربية** ، (تر : مصطفى عطيس) ، ط1 ، منشورات جمعية تطوان أسمير ، المغرب ، 2002 م .

– مانتران روبير ، **تاريخ الدولة العثمانية** ، (تر : بشير السباعي) ، ج1 ، ط1 ، مكتبة الاسكندرية ، مصر ، 1993 م .

– المدني أحمد توفيق ، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا (1492 – 1792 م)** الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1984 م .

– المريني عبد الحق ، **الجيش المغربي عبر التاريخ** ، ط5 ، مطبعة المعارف الجديدة الرباط ، المغرب ، 1997 م .

– منصور عبد الوهاب ، **أعلام المغرب العربي** ، ج5 ، ج6 ، المطبعة الملكية ، الرباط المغرب ، 1990 م .

– نجم زين العابدين شمس الدين ، **تاريخ الدولة العثمانية** ، ط1 ، دار الميسرة الأردن 2010 م .

– الهاشمي البلغيثي أسية ، **المجالس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريفة** ج1 ، المغرب ، 1996 م .

– ياغي اسماعيل محمد ، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث** ، ط2 مكتبة العبيكان للنشر ، الرياض ، السعودية ، 1998 م .

– يوسف بك أصاف حضرة عزلتو ، **تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن** (تق : محمد زينهم عزب) ، ط1 ، مكتبة مديولي للنشر ، القاهرة مصر ، 1990 م .

4– الأطروحات الجامعية :

– بن قايد عمر ، **" علاقات المغرب الأقصى السياسية مع دول غرب أوربا المتوسطية (فرنسا و إسبانيا) 1959 – 1727 م "**، مذكرة ماجستير ، (إشراف : عمار بن خروف) تخصص تاريخ حديث ، المركز الجامعي بغرداية ، الجزائر ، 2011 م .

– محرز أمين ،**" الجزائر في عهد الأغوات (1659 – 1671 م) "**، مذكرة ماجستير (إشراف : عائشة غطاس) ، منشورة، تخصص تاريخ حديث ، جامعة الجزائر ، 2007 م .

5– المجلات و الدوريات :

– أبو إدريس إدريس ،" المولى اسماعيل و دور شخصيته في تدعيم الدولة المركزية (1082 – 1139 – 1672 – 1727 م) "، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية** ، العدد 03 ، مكناسة ، المغرب ، 1990 م .

– الأخضر محمد ، " الأدب المغربي على عهد الدولة العلوية "، العصر الأول **مجلة المناهل** ، العدد 01، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، المغرب 1974م.

– ايشرخان أحمد ،" جهود السلطان مولاي اسماعيل في تأسيس الخزانات العلمية و ازدهار الحياة الفكرية بالمغرب الحديث (1082 – 1139 هـ ، 1672 – 1727 م) "، **مجلة دعوة الحق** ، العدد 404 ، و أ ش إ ، الرباط ، المغرب ، 1957 م.

– بن قايد عمر ،" أضواء على علاقات الجزائر مع المغرب الأقصى خلال القرن 11 هـ / 17 م"، **مجلة الواحات للبحوث والدراسات** ، العدد 17 ، جامعة غرداية الجزائر ، 2012م.

– التازي عبد الهادي ،" السياسة الخارجية للمملكة المغربية إزاء العثمانيين "، **مجلة دعوة الحق** ، العدد 264 ، و أ ش إ ، الرباط ، المغرب 1957 م.

– حجي محمد ،" العلاقات المغربية التركية في القرن السادس عشر " ، **مجلة المناهل** العدد 25 ، وزارة الشؤون الثقافية ، الرباط ، المغرب ، 1982 م .

– داهش محمد علي ، " العلاقات المغربية العثمانية (1650 – 1830 م) " ، **مجلة كلية الإنسانيات و العلوم الاجتماعية** ،العدد 18 ، جامعة قطر ، 1995 م.

– ساسيوي الفيلالي الحاج ،" ثورات المدن في المغرب الأقصى الحديث " مدينة فاس في عهد السلطان اسماعيل (1672 – 1727 م) " ، **مجلة كان التاريخية** ، العدد 17 ، دار ناشري ، الكويت ، 2012 م .

– الشاوش محمد العربي ،" الدولة العلوية المغربية النشأة و الاستقرار و الاستمرار" ، **مجلة دعوة الحق** ، العدد 273 ، و أ ش إ ، المغرب 1957 م.

– طحطح خاليد فؤاد ،" العلاقات المغربية_ العثمانية خلال العصر الحديث (القرن السادس عشر أواخر القرن الثامن عشر) " ، **مجلة كان التاريخية** ، العدد 14 ، دار ناشري الكويت ، 2003 م .

– علي أحمد سالم ، " العلاقات العثمانية – المغربية خلال القرن السادس عشر" **مجلة كان التاريخية** ، العدد 13 ، دار ناشري ، الكويت ، 2011 م .

– المنصور محمد ،" الضغوط العثمانية و أثرها على تحرير الثغور المحتلة بالمغرب من حلال حالة طنجة " ، **مجلة دار النيابة** ، العدد 05 ، المطبعة المغربية ، طنجة ، المغرب 1985 م .

6– الموسوعات و الأطالس :

– المغلوث سامي عبد الله أحمد ، **أطلس تاريخ الدولة العثمانية** ، ط1 ، مكتبة الإمام الذهبي ، الكويت ، 2014 م .

– **الموسوعة العربية الميسرة** ، ط1 ، المكتبة المصرية ، بيروت ، 2010 م .

7– المصادر باللغة الأجنبية :

– DeGrammont , **Histoire d'Alger sour la domination turque (1515 – 1830)** , Paris , 1887 .

– Rousseau (Alphonse) , **Régence D'Alger ,** (traduites d'un manuscrit orale EL – ZOHRAT – EL – MAYERAT : par Alphonse Rousseau) , Imprimerie du gouverement , Alger , 1841 .

– Zayani abu al kasim b Ahmed **, le maroc de 1631 à 1812** 2 extr (de l'ouvrage intitulé public et traduit : paro houdas) Imprimerie nationale , paris , 1889 .

ملخص

شهد المغرب الأقصى والدولة العثمانية في فترة مابين (1679 ـ 1757 م) أوضاعًا سياسية ساهمت بشكل كبير في في بناء العلاقة بينهما ، إذ حتَّمت على كل طرف التعامل مع الطرف الأخر حسب الظروف التي تعيشها دولته ، وعلى هذا الأساس قامت وبُنيت العلاقات المغربية _ العثمانية وأَخذت تميل إلى التوتر والصراع ، ويعود السبب في ذلك إلى استغلال المغرب فرصة انشغال الدولة العثمانية بمشاكلها الداخلية وحروبها الخارجية وتدخله العسكري في الجزائر التي كانت تحت السيادة العثمانية و طرفًا مهمًا في هذه العلاقات ، إلى جانب أطراف أجنبية أخرى (إسبانيا ، فرنسا) .

وفي ظل استمرار هذا الصراع بين الدولتين لجأ الطرفان إلى الحل الدبلوماسي الذي لعب دورًا كبيرا في تحول مسار العلاقات من الصراع إلى السلم والهدوء.

Rèsumè

Le Maroc et l'Empire ottoman ont été témoins entre la période (1679-1757) situations politiques ont contribué de manière significative à la construction de la relation entre eux, elles sont rendues nécessaires chaque partie traitant de l'autre partie en fonction des circonstances vécues par l'État, et sur cette base, les relations intégrées marocaine - Empire ottoman et ont tendance à tensions et des conflits, et la raison pour cela est de profiter de l'occasion de la préoccupation du Maroc avec l'Empire ottoman et ses problèmes internes des guerres étrangères et l'intervention militaire en Algérie, qui était sous la souveraineté ottomane et une partie importante dans ces relations, ainsi que d'autres parties étrangères (Espagne, France). Avec la poursuite de ce conflit entre les deux parties eu recours à une solution diplomatique, qui a joué un rôle majeur dans la transformation au cours des relations du conflit à la paix et la tranquillité.